من القيم الأخلاقية
في القرآن الكريم والهدي النبوي
دراسة في التركيب والدلالة

إعداد الدكتورة

عائشة سالم محمد يوسف

مدرس أصول اللغة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

مدينة السادات، جامعة الأزهر

من القيم الأخلاقية في القرآن الكريم والهدي النبوي
دراسة في التركيب والدلالة

عائشة سالم محمد يوسف

قسم أصول اللغة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ــ مدينة السادات، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر

البريد الإلكتروني: Aeshasalem.419@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى دراسة النص القرآني المشتمل على بعض القيم الأخلاقية في مقابل الهدي النبوي المشتمل على مثل هذه القيم الأخلاقية، دراسة لغوية قائمة على تحليل العناصر التركيبية والدلالية لكل منهما؛ لمعرفة مدى التقاء الأسلوبين في التركيب والدلالة، وللوقوف على سر هذا الجمال الأخلاقي الذي ورد في النص القرآني على لسان أو فعل سيدنا موسى – عليه السلام – والذي بيَّنه ووضحه من لا ينطق عن الهوى، سيدنا المصطفى – عليه الصلاة والسلام – وقد اتبعت المنهج الوصفي؛ حيث قمت بتحليل الأسلوب التركيبي للآيات محل الدراسة في مقابل الأسلوب التركيبي للحديث النبوي في كل قيمة خُلُقية تناولتها الآيات، بقصد الوصول إلى مواطن الشبه والالتقاء بينهما. هذا، وبعد الدراسة التحليلية بين هذه الآيات القرآنية التي تتضمن بعض القيم الأخلاقية، والأحاديث النبوية التي تتضمن مثل هذه القيم الأخلاقية يتضح تلاقي الأسلوب التركيبي لكلا طرفي المقارنة، ومن ذلك: قيمة (اليقين في التوكل على الله تعالى)، وقيمة (التوسم والتفرُّس) وقيمة (الحياء)، وقيمة (قضاء حوائج العباد).

الكلمات المفتاحية: القيم الأخلاقية، النص القرآني، الهدي النبوي، التركيب، الدلالة.

Some of the Moral Values in the Holy Qur'an and Prophetic Guidance: A Syntactic and Semantic Study

Aesha Salem Muhammad Youssef.

Department of Linguistics, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Female Students, Sadat City, Al-Azhar University, Egypt

Email: Aeshasalem.419@azhar.edu.eg

Abstract:

This research aims to study the Qur'anic texts that include some moral values in contrast to the Prophetic hadiths that include the same moral values. It is a linguistic study based on an analysis of the syntactic and semantic elements of each of them in order to know the extent of similarity of the two styles in structure and meaning. It also seeks to find out the secret behind this moral beauty, mentioned in the Qur'anic text at the tongue or embodied in the actions of Prophet Moses (pbuh) and explained by Prophet Muhammad (pbuh) who is divinely inspired. The descriptive approach has been followed in this study, in which the syntactic style of the verses under study is analyzed and compared to the syntactic style of the Prophet's hadiths that deal with the same moral value addressed in the verses, with the aim of arriving at areas of similarity between them. The analytical study of both the Qur'anic verses and the Prophetic hadiths that include the same moral values has shown the similarity of the syntactic styles of both sides. The values examined in this study include certainty in trusting in Allah Almighty, the value of physiognomy, the value of modesty, and the value of helping other people fulfil their needs.

Keywords: Moral values - Qur'anic text - Prophetic guidance – structure - significance

المقدمة:

الحمد لله الذي أنعم على خلقه بإنزال كتابه بلسان عربي مبين جلّ أن يشابه كلام المخلوقين، أحمده سبحانه وتعالى حمدًا طيبًا مباركًا فيه، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ أفصحِ العرب لسانًا، وأبينِهم حُجة، وأقومِهم عبارة، وأرشدِهم سبيلًا، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وبعد ،،،،،

فإن المتأمل في واقع حياتنا المعاصر يرى انحرافًا في القيم الأخلاقية والمعايير السلوكية التي جاء بها ديننا الحنيف، والتي دعا إليها في العديد من آيات الذكر الحكيم، وهذا الانحراف منشؤه البعد عن مصدر هذه القيم الإسلامية وعدم التمسك به، وهو القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، فهما الأساس للحياة الإنسانية السوية، ومن يتمسك بهما لن يضل أبدًا، كما قال الحبيب المصطفى ﷺ، وأنى يكون الضلال مع كتاب لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أرشد أهله إليها إما إجمالًا أو تفصيلًا؟ حتى ما أُجمِل فيه جاءت السنة النبوية المشرَّفةُ شارحة ومفصلة له؛ لذا كان السمت الأخلاقي الغالب على السلف الصالح الذي تمسك بهذا النبراس السماوي عاليًا رفيعًا، فتراهم مُدحوا بالإيثار، والتعاون، والحياء، والخفر، والاحتشام، والعفاف، وغير ذلك من مكارم الأخلاق، فلما بعُد البون، وقلّ التمسك بهذا النبراس السماوي حلَّت الأثرة وحب الذات، والتقاعس والتخاذل، وغير ذلك من مساوئ الأخلاق، وهذه قضية تدفع المجتمع إلى أزمات خطيرة، وتجعله يرتد للوراء، فكم من مجتمعات تدهورت وتقهقرت بانهيار منظومة الأخلاق فيها؛ لأن العلاقة بينهما قوية متينة، فيرقى المجتمع برُقيِّ أخلاق أهله، ويتدهور بتدهور أخلاقهم، إضافة إلى أن صلاح أمر الإنسان يكون بصلاح أخلاقه، كما قال شوقي:

صلاحُ أمْرِكَ للأخلاق مَرْجِعُهُ ... فقَوِّمِ النفسَ بالأخلاق تَسْتَقِمِ

لذا كانت هذه المحاولة التي أتقدم بها على استحياء لدراسة بعض القيم الأخلاقية في النص القرآني ومقابلتها مع الهدي النبوي لمثل هذه القيم في هذا البحث المعنون بـــ"من **القيم الأخلاقية في القرآن الكريم والهدي النبوي الشريف دراسة في التركيب والدلالة** " وقد وقع اختياري في آيات النص القرآني على الآيات من(٢٢: ٢٨) في سورة القصص، وهي تلك الآيات التي تحكي أحداث توجه سيدنا موسى ـ عليه السلام ـــ تلقاء(مدين) ومقابلة الفتاتين، ومقابلة الشيخ الكبير، وإنما آثرت هذه الآيات تحديدًا دون غيرها؛ لما لمسته في هذه الآيات من قيم وأخلاق تعد عمدة ورأسًا في تكوين شخصية الإنسان، إضافة إلى افتقار مجتمعنا المعاصر من مثل هذه القيم الأخلاقية تحديدًا؛ فآثرت أن أتناول هذه الآيات علها تكون محاولة جادة لإحياء مثل هذه القيم ثانية في المجتمع على الصعيد العام، وفي نفسي على الصعيد الخاص.

وأما في الهدْي النبوي فقد اعتمدت على أحاديث تعد من عيون الأحاديث في الخُلُق محل الدراسة القرآنية، ومعيار المفاضلة عندي هو شهرة الحديث وذيوعه، وتداوله على الألسنة؛ حتى يكون البحث في متناول العامة قبل الخاصة.

وتكمُن أهمية هذه الدراسة في:

أنها محاولة لدراسة النص القرآني في مقابل النص النبوي دراسة لغوية قائمة على تحليل عناصره التركيبية والدلالية، لمعرفة مدى التقاء الأسلوبين في التركيب والدلالة، فتكون الدراسة بذلك أكثرَ دقة وموضوعية، وتكون مصدرَ ثراء للمكتبة العربية.

أسئلة الدراسة والهدف منها:

إذا كان الهدف من هذه الدراسة هو دراسة بعض القيم الأخلاقية في النص القرآني، والهدي النبوي؛ للوقوف على سر هذا الجمال الأخلاقي الذي ورد في النص القرآني على لسان أو فعل سيدنا موسى – عليه السلام – والذي بيَّنه من لا

ينطق عن الهوى ﷺ فإن هذه الدراسة جاءت محاوِلة الإجابة على هذه التساؤلات: هل انتقى التعبير القرآني أساليب تركيبية معينة في سياق الحديث عن القيم الأخلاقية في الآيات محل الدراسة؟ وكذلك هل انتقى الهدْي النبوي أساليب تركيبية معينة في سياق الحديث عن القيم الأخلاقية محل الدراسة؟ وهل هناك نقطة التقاء بين الأسلوبين؟ – أي القرآني والنبوي – ولعل هذا البحث يفي بالإجابة على هذه الأسئلة المطروحة.

وقد دعاني إلى دراسة هذا الموضوع أسباب عدة، منها:

١- أن قضية الأخلاق للمجتمع بمثابة القلب النابض للإنسان متى توقف عن النبض انتهت حياته، كذلك الأخلاق متى ذهبت وانهارت انهار المجتمع؛ لذا فهي تحتاج تكثيف الجهود وتكاتف جميع القوى في المجتمع للتصدي للغزو الفكري الأخلاقي الممنهج كلٌّ في مجاله الخاص؛ فالخير موجود في الأمة الإسلامية إلى يوم القيامة.

٢- إذا كان لحاملي معول هدم القيم الأخلاقية – في المجتمع العربي بصفة خاصة والإنساني بصفة عامة – وسائل يستعينون بها مثل وسائل الإعلام المسموعة، والمرئية، والمقروءة، ووسائل التواصل الاجتماعي وما تبثها من مواد إعلامية تهدم القيم الأخلاقية وتُصَدِّر للشباب والنشء خاصة قيَمًا مغلوطة بعيدة تمام البعد عن قيَمنا المستمدة من الشريعة الإسلامية، كان لزامًا على المعنيين بإصلاح الأمور الاستعانة بنفس هذه الوسائل لإصلاح ما أفسده هؤلاء، ولا يستحقرَنَّ أحدٌ جهده، يكفي العزم، والعون والمدد والتوفيق من الله تعالى.

٣- أن الأخلاق قوام المجتمع، فهي تساعد على ضبط المجتمع برقابة داخلية من المجتمع نفسه؛ لأن الناس في المجتمع الواحد يعيشون في سفينة واحدة تحمل على أكتافها مفسدين ومصلحين فلو أخذ المصلحون على أيدي

المفسدين لصلحت الأحوال ونجا الجميع، ولو قصَّر المصلحون في مواجهة أرباب الفساد لكان الغرق والهلاك مصير الجميع كما أخبر الصادق المصدوق في حديث السفينة.

٤- أن المجتمع الذي تزداد فيه الأخلاق الحسنة تظهر المودة، والمحبة بين أرباب هذا المجتمع؛ لأنها تُعَلِّم الإنسان كيف يحب الخير لنفسه ولغيره، وتعلم الإيثار، وتساعد على نشر التعاون والتكافل المجتمعي بين أبناء الأمة الواحدة، ونشر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا مالا يريده أعداء الإسلام.

الحدود الموضوعية للدراسة:

تتعلق الحدود الموضوعية للبحث بدراسة الآيات من (٢٢: ٢٨) من سورة (القصص) في مقابل حديث نبوي لكل قيمة خلقية تناولتها الآيات محل الدراسة، دراسة لغوية قائمة على تحليل عناصرهما التركيبية، والدلالية لمعرفة خصائص كل تركيب فيهما، وتحديد مواطن الالتقاء بين الأسلوبين، فتكون الدراسة بذلك أكثرَ دقة وموضوعية.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة الموضوع الاعتماد على المنهج الوصفي(١)، حيث قمت بتحليل الأسلوب التركيبي للآيات محل الدراسة في مقابل الأسلوب التركيبي للحديث النبوي في كل قيمة خلقية تناولتها الآيات، بقصد الوصول إلى مواطن الشبه والالتقاء بينهما.

---

(١) وهو المنهج القائم على وصف الظاهرة اللغوية كما هي عليه في وقت معين، أي أنه يبحث اللغة بحثا عرضيا لا طوليا، ويصف ما فيها من ظواهر لغوية مختلفة، ويسجل الواقع اللغوي، تسجيلا أمينا / ينظر / المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي / د. رمضان عبد التواب / مكتبة الخانجي بالقاهرة /ط ٣/ ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م. صـ١٨١.

خلفية هذا البحث:

تعد سورة القصص من أكثر سور القرآن الكريم تناولًا في ميدان البحث لغويًا كان أم بلاغيًا، أم فقهيًا أم غير ذلك؛ لأنها تشتمل على كثير من الموضوعات التي تستحق الدراسات المتنوعة، ومن هذه الدراسات:

بحث بعنوان: السبك النحوي في سورة القصص(دراسة تحليلية نصية)[١]:

يهدف إلى بيان الآليات المختلفة التي تعمل على سبك النص، والتي منها وسائل سبك النص النحوية مثل: الضمائر، وأسماء الإشارة، وأداة التعريف، والأسماء الموصولة، وأدوات العطف، وغير ذلك، والبحث بهذه المعالجة بعيد كل البعد عن مجال هذا البحث.

بحث بعنوان: المضامين التربوية المستنبطة من سورة القصص: دراسة تحليلية[٢]

يهدف إلى التعريف بسورة القصص ومكانتها في القرآن الكريم، وبيان أهم المضامين التربوية التي حوتها هذه السورة، والتي منها بيان الموازين الحقيقية للقوى والقيم، والمتمثلة في قوة الله عز وجل؛ وقيمة الإيمان به، وأن سورة القصص تتضمن العديد من المبادئ والقيم والأساليب التربوية التي ينبغي العمل عليها وتطبيقها في مجال التربية والتعليم، وبناء النظرية التربوية الإسلامية في المجتمع المسلم التي تنطلق منها عملية تأصيل المناهج التعليمية، والبحث بهذه المعالجة ينتهج نهجًا دعويًا تربويًا.

---

(١) بحث تكميلي مقدم لاستيفاء الشروط لنيل الدرجة الأولى في اللغة العربية وآدابها/ إعداد: قرة أولياء زهرة شعبة اللغة العربية وآدابها/ قسم اللغة والأدب / كلية الآداب والعلوم الإنسانية / جامعة سونن أمبيل الإسلامية الحكومية سورابايا-إندونيسيا/ ١٤٤١هـ - ٢٠١٩م.

(٢) بحث منشور في مجلة الدراسات الاجتماعية ج٢٦، ع ٢ / يونيو ٢٠٢٠م / جامعة العلوم والتكنولوجيا - اليمن / تأليف /القادري حميد بن يوسف بن ثابت.

بحث بعنوان: القيم السلوكية والأخلاقية في القصص القرآني: دراسة موضوعية(١)

يهدف إلى دراسة القيم الأخلاقية والسلوكية المستنبطة من القصص القرآني، دراسة استنباطية موضوعية، فهو يُعنى بدراسة الخطاب القرآني في قصص الأنبياء في القرآن الكريم ومراعاة مقتضى السامع ورغباته واهتماماته؛ لأن القصص القرآني يمس رغبة واهتمام المجتمع العربي المولع بالقصص والأخبار، والبحث بهذه المعالجة يتناول القصص القرآني عامة وليس قصة سيدنا موسى - عليه السلام - في أرض مدين كما أنه يتناول القصص القرآني من الوجهة البلاغية.

أما عن دراستي فقد عُنيت بدراسة التركيب والدلالة لبعض القيم الأخلاقية في النص القرآني المتمثل في قصة موسى - عليه السلام - في أرض مدين وما بها من أحداث اشتملت على بعض القيم الأخلاقية في مقابل دراسة التركيب والدلالة للهدي النبوي الشريف المشتمل على مثل هذه القيم والوقوف على سمات كلٍ منهما، ومواطن الالتقاء بين كلا الأسلوبين .

خطة البحث :

انتظم هذا البحث في مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة، أما المقدمة فعرَّفت فيها بموضوع البحث، وأسباب اختياري له، وأسئلة البحث وحدوده، ومنهج البحث، وخطة البحث وتقسيمه، وأما التمهيد وعنوانه: تحرير مصطلحات عنوان البحث، فعرَّفت فيه بمصطلحات العنوان (القيم الأخلاقية – النص القرآني – الهدْي النبوي)، وأما المبحث الأول وعنوانه: قيمة اليقين في التوكل على الله

(١) بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه، من (شيوجونغ ما) جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية / كلية الدراسات العليا / إشراف / الماحي السر الطاهر محمد / موقع أم درمان / السودان / ٢٠١٤م .

بين النص القرآني والهدي النبوي، وأما المبحث الثاني وعنوانه: قيمة التوسم والتفرس بين النص القرآني والهدي النبوي، وأما المبحث الثالث وعنوانه: قيمة الحياء بين النص القرآني والهدي النبوي، وأما المبحث الرابع وعنوانه: قيمة قضاء حوائج العباد بين النص القرآني والهدي النبوي، وأما المبحث الخامس وعنوانه: قيمة الانسجام والتوافق بين الدين والخُلُق بين النص القرآني والهدي النبوي، ثم تأتي الخاتمة لتتناول خلاصة النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة، ثم تتبع بثبت المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث، ثم تأتي بعد ذلك الفهارس المتنوعة لتسهيل عملية البحث، وفهرس الموضوعات .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل

التمهـــــــــيد

تحرير مصطلحات عنوان البحث

(القيم الأخلاقية - النص القرآني - الهدي النبوي)

أولاً: القيم الأخلاقية تأصيلًا ومفهومًا:

وردت مادة (ق و م) في كتب اللغة حول معانٍ عدة منها دلالتها على "انتصاب أو عزم ....، ومن الباب: هذا قوام الدين والحق، أي به يقوم "(١)، ومن الانتصاب: قِوام الشيء، أي "ما استقام به."(٢)، ومن العزم" قاومته في كذا، أي: نازلته، والقِيمةُ: ثمن الشيء بالتَّقْويم تقول: تقاوَموا فيما بينهم. وإذا انقاد، واستمرت طريقته، فقد استقام لوجهه"(٣)، أي أن القيمةَ التي هي واحدةُ القيم هي قوام الإنسان وبها تستقيم كل أموره، وبالقيم يقاوم الإنسان نقائص، ومعايب، ومساوئ نفسه لا يتبع هواها فتقوى عزيمته، والقيمة بثباتها ومعياريتها تضفي ملمح الاستمرارية؛ ولهذا سميت قيمة؛ لأنها أشبهت القيمة التي تُقوَّم بها الأشياء فتكون معيارًا ثابتًا لا يتغير عند الجميع، وبها نعرف الصواب من الخطأ؛ لأن مرجعيتها الكتاب والسنة فيهما الصلاح والعلاج، القِيَم يقصد بها " الفضائل الدِّينيّة والخُلقيّة والاجتماعيّة التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنسانيّ؛ ولأهميتها أُفرد لها علم مستقل سمي بعلم القيم، وهو "علم يشمل القيم أو الفضائل وبوجه خاصّ القيم الأخلاقيّة..."(٤)، ولما كانت القيم ثابتة لا تتغير جيء معها بنعت

---

(١) مقاييس اللغة /ابن فارس /تح. عبدالسلام محمد هارون/ دار الفكر/ ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م. (٥/ ٤٣).

(٢) كتاب العين/ الخليل بن أحمد /تح. د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي/ دار ومكتبة الهلال (٥/ ٢٣٣)، تهذيب اللغة /تح. محمد عوض مرعب/ دار إحياء التراث العربي – بيروت/ ط١، ٢٠٠١م (٩/ ٢٦٩).

(٣) كتاب العين (٥/ ٢٣٣).

(٤) معجم اللغة العربية المعاصرة د أحمد مختار عمر / عالم الكتب/ ط١، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م (٣/ ١٨٧٨).

مطابق لها إعرابًا ومعنًى وهو(الأخلاق)، وهي جمع (الخُلُق) لا يُكسَّر على غير ذلك، وهو "الدين، والطبع، والسجية، وحقيقته أنه لصورة الإنسان الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخَلْق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها..."(١)، أي أن الأخلاق تشمل صورة الإنسان ظاهرًا وباطنًا، وتتعلق بجميع جوانب السلوك في حياة البشر.

ثانيًا: النص القرآني وأسباب اختياره:

لما كان القرآن الكريم مصدرًا رئيسًا للقيم الأخلاقية؛ مصداقًا لقول الله تعالى﴿ **مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ** ﴾[الأنعام:٣٨]، آثرت أن أتناول في هذه الدراسة الآيات من (٢٢: ٢٨) من سورة القصص ليكون مدار الدراسة عليها؛ لما في هذه الآيات من قيم أخلاقية تحلى بها سيدنا موسى – عليه السلام– في سياق تهيئته – عليه السلام لمنحة تلقيه الرسالة الإلاهية من ربه تبارك وتعالى، بعد محنة قتله القبطي وخروجه من المدينة خائفًا يترقب، فهو في أصعب مواقف حياته، مهدد بالقتل والتآمر من ملأ فرعون ومطارد، ومع كل هذا لم يتخلَّ عن مبادئه أو قيمه الأخلاقية فهي عنده بمثابة العروة الوثقى التي لا انفصام لها؛ لذا استمسك بها ولم يتركها حتى في لحظات ضعفه – ماديًا ومعنويًا – كحال إخوانه من الأنبياء والرسل جميعًا – صلوات الله تعالى عليهم أجمعين – وكأن في هذا تهيئة له – عليه السلام – لتلقي الرسالة السماوية، فكان من بُشرياتها أن منَّ الله تعالى عليه بمصاهرة رسولٍ من رسل الله؛ لِما تمتع به موسى – عليه السلام – من خصال المروءة، والفتوة، والعفاف، والوفاء بالعهد التي استقرت في نفسه وطبِع عليها؛ حتى كان خاتمة ذلك تشريفه بالرسالة.

(١) لسان العرب (١٠/ ٨٦)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٧٠).

ثالثًا: الهدْي النبوي ومعيار اختياره:

لما كانت السنة النبوية المشرَّفة المصدرَ الثاني للتشريع، وهي المبيِّنة للقرآن الكريم، الشارحة لما أُجْمِلَ فيه، كانت أولى بالمقابلة مع المصدر الأول وهو القرآن الكريم؛ لذا كانت فكرة هذا البحث قائمة على عقد ما يشبه مقارنة بين المصدر الأول المتمثل في الآيات محل الدراسة، والمصدر الثاني المتمثل في تناول حديث ينص على القيمة التي تناولتها الآية القرآنية، استنادًا إلى معيار شهرة هذا الحديث في هذه القيمة وذيوعه على ألسنة العامة قبل الخاصة؛ لأن القيم الأخلاقية قيم عامة لا تقتصر على فئة من الناس دون فئة، إضافة إلى كون النص القرآني يحكي مواقف ومشاهد لسيدنا موسى -عليه السلام- نبي بني إسرائيل، أما الهدي النبوي فهو قول من لا ينطق عن الهوى رسول الإنسانية كافة ﷺ؛ وذلك للتدليل على أن الشرائع السماوية مصدرها واحد، فهي من عند الله تعالى، وهي بطبيعتها كلها منذ عهد آدم – عليه السلام- إلى عهد النبيّ ﷺ متفقة على أصل واحد وهو توحيد الله وإفراده بالعبادة ليس بينها اختلاف أو تناقض في ذلك، كما أن هناك اتفاقًا في المسائل المتعلّقة بالأخلاق، والمعاملات، والحدود، وإن كان هناك اختلافٌ بينها في المنهاج والطريقة التي يتم بها إقرار هذه الأحوال، مصداقا لقول الله تعالى ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ٤٨﴾[المائدة:٤٨]، فالاختلاف بين الشرائع السماوية إنما يكون في الفروع لا الأصول الثابتة وذلك لاختلاف ظروف كل أمةٍ واختلاف طبائعها وتنوّع عاداتها، وتباين مصالحها وحاجاتها، فقد روي عن ابن عباس – رضي الله عنه – أن الشرعة: ما ورد به القرآن، والمنهاج: ما وردت به السنة"[(١)]، وكل ما ورد في القرآن من أصول وأحكام

(١) معجم الفروق اللغوية/ العسكري/ مؤسسة النشر الإسلامي/ط١، ١٤١٢هـ صـ٢٩٨، ٢٩٩.

ورد في الكتب السماوية السابقة عليه، والسنة النبوية شارحة ومبينة لما في القرآن الكريم فتكون المحصلة أن جميع الكتب السماوية إضافة إلى السنة النبوية متفقة في الأصول والأحكام حتى مع اختلاف الأزمان، فالأصول التي بعث عليها موسى عليه السلام - هي نفسها التي بعث عليها عيسى - عليه السلام - وهي نفسها التي بعث عليه سيدنا محمد ﷺ لا اختلاف بينها ولا تناقض، ولا يقتصر الأمر من أنبياء الله تعالى على الجانب التنظيري وهو القول فقط؛ بل تعدى الأمر إلى الجانب التطبيقي أي العمل أيضًا، فها هو موسى – عليه السلام - في هذه الآيات يعد نموذجًا تطبيقيًا في مكارم الأخلاق يجب أن يُحتذى به، وحبيبنا المصطفى ﷺ في كثير من أحواله ومواقفه التي حكَتْها كتب السنة، وكتب السيرة كان ﷺ أنموذجًا تطبيقيًا لمكارم الأخلاق، ولم يقتصر على القول فقط أو التنظير، كيف لا، وهو القائل ﷺ «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» [(١)]، فقد قصر ﷺ بعثته وحَدَّها على إتمام مكارم الأخلاق – قولا وعملًا – ولكني اكتفيت في هذه الدراسة بإيضاحه ﷺ وبيانه لبعض القيم الأخلاقية، التي تناولتها تلك الآيات التي تحكي صنيع سيدنا موسى - عليه السلام - للدلالة على أن مكارم الأخلاق إنما هو مطلب للأنبياء جميعًا .

وفيما يأتي عرض لهذه القيم الأخلاقية في القرآن الكريم، والهديِّ النبويِّ الشريف.

(١) أورده الإمام البخاري في الأدب المفرد صـــ١٠٤، وصححه الشيخ الألباني.

المبحث الأول

قيمة اليقين في التوكل على الله بين النص القرآني والهدي النبوي

القيمة الأخلاقية	معيار النص القرآني	معيار الهدْي النبوي
اليقين في التوكل على الله تعالى	﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢﴾	لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا
الأسلوب التركيبي	أسلوب شرط	أسلوب شرط
الأداة	لما الحينية، أداة شرط غير جازمة بمعنى(حين) تربط بين جملتين، وتكون ثانيتهما متوقفة التحقق على الأولى.	لو الشرطية (غير الجازمة) تربط بين جملتين، وتجعل الفعل للمضي وإن كان مستقبلًا.
دلالة الأداة	تفيد وجود شيء بوجود غيره، فهي تعلق وجود الجواب على وجود الشرط (لمّا) لثبوت الثاني لثبوت الأول.	أداة امتناع لامتناع، تفيد امتناع حدوث الجواب لامتناع الشرط (لو)لانتفاء الثاني لانتفاء الأوّل.

النتائج	
نتائج النص القرآني	**نتائج الهدْي النبوي**
قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ.	لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا.
تزامن عند (موسى) – عليه السلام – يقين وحسن ظن بالله، فور توجهه تلقاء مدين فأسرع قائلا (عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ)، فعبر بالفعل (عسى) الذي يصرف المستقبل إلى المضي من باب اليقين بهداية ربه له سواء السبيل، فلو وجد هذا اليقين لأصبح ما لم يحدث واقعا لا محالة، وهذا ما ترجمه سيدنا (موسى) – عليه السلام –	ضرَبَ الرسولُ ﷺ مثلًا لحسن التوكل على الله بمشهد معتاد الحدوث مرارا وتكرارا وهو مشهد غدوة الطير في البكور خماصًا، ورواحها بطانا.

نقطة التقاء بين الأسلوبين	يلتقي كلا الأسلوبين أي القرآني والنبوي في تخليص الفعل المستقبلي إلى المضي، وإنزال غير المتيقن منزلة المتيقن، وغير الواقع منزلة الواقع، وتوقع حصول ما لم يحصل على سبيل الرجاء، والطمع، واليقين.

بعد إجمال هذه القيمة الأخلاقية في الجدول السابق يأتي دور عرض وتفصيل هذا فيما يأتي:

جاء معيار النص القرآني بأسلوب الشرط (ولما توجه تلقاء مدين قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) بأداة الشرط (لما الحينية) أو(الوجودية) التي يترتب على وجود جوابها وجود شرطها، للدلالة على أن موسى – عليه السلام – فور توجهه تلقاء مدين ومُضيِّه إليها، وخروجه عن مدينة فرعون وسلطانه ترجم هذا التوكل بعبارة موجزة بليغة فقال(عسى ربي أن يهديني سواء السبيل)، مع كونه في محنة عظيمة، وهي قتله القبطي وخروجه من المدينة خائفًا يترقب، إلا أنه توكل على الله تعالى حق توكله، وأخذ بأسباب نجاته وسلامته بعد أن قتل القبطيَّ وأُعلِم أنه مستهدف، وأن الملأ يأتمرون به ليقتلوه، فخرج من البلدة خائفًا يترقب تاركًا إياها إلى مدين، هذه البلدة التي لا يعرف أحدًا فيها ولا يعرفه أحدٌ، ولكنه التوكل على الله تعالى، وجاءت مقولة موسى – عليه السلام – مصدَّرة بالفعل (عسى) الذي أجمع جُلُّ علماءِ اللغة على أن "عسَى في القرآنِ من الله واجبٌ ... وهي في الناس بمنزلة: لعلّ، وهي كلمة مُطْمِعة، وتكون للشك واليقين[1]؛ لذا أوردها (ابن الأنباري) في الأضداد واستدل على كون عَسَى إيجابًا بقول ابن مُقبِل (من الكامل):

ظَنَّ بهمْ كعَسَى وهُمْ بَتَنُوفَةٍ[2] ... يتنازعون جوائب الأَمْثالِ [3]

(١) ينظر العين (٢/ ٢٠٠، ٢٠١)، جمهرة اللغة (٢/ ٨٤٥)، تهذيب اللغة (٣/ ٥٥)، الصحاح (٦/ ٢٤٢٥).

(٢) التَّنُوفَة: الأَرضُ القفر. وقيل البعيدة الماء، وجمعها تنائف»، ينظر / النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٩٩).

(٣) البيت من الكامل، وهو لابن مقبل في ديوانه صـ ٢٦١؛ والأضداد صـ ١٨٨؛ وخزانة الأدب ٩/ ٣١٣: ٣١٧، ولسان العرب ٥/ ٣٢٧ (جوز)؛ وتاج العروس ٢/ ٢٠٥ (جوب)، ١٥/ ٧٧ (جوز)، (عسى، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٢٨٧، ٨٤٥؛ وشرح المفصّل ٧/ ١٢٥؛ ولسان العرب ١/ ٢٨٥ (جوب)، ١٣/ ٢٧٢ (ظنن)، ١٥/ ٥٥=

أَراد ظَنٌّ بهم كيقين"[١]، أي أن عسى في كلام العرب تأتي للترجي والطمع في المحبوب والإشفاق في المكروه، وتأتي لليقين، كما أن من خصائص هذا الفعل أنه "لا يتصرف؛ لأنه وقع بلفظ الماضي لِمَا جاء في الحال" [٢]، وإنما لم يتصرف؛ لأنه "ضُمِّن معنى الطمع والرجاء، كما ضُمِّنت لعل، فلم يتصرف لذلك ....؛ لأن كل شيء مطموع فيه مترجى فهو مستقبل، فقام له المعنى مقام التصريف..." [٣]، فلما كانت (عسى) تدل على "قُرْبٍ وَإِمْكَانٍ"[٤] لِمَا لم يحدث بعدُ وردت في الكلام "لمقاربة الأمر على سبيل الرجاء والطمع، أي لتوقع حصول ما لم يحصل، سواء يرجى حصوله عن قريب أو بعد مدة مديدة..." [٥]، وهذا ما حدث من سيدنا (موسى) – عليه السلام – الذي توكل على الله تعالى حق توكله متيقنًا أن ربه سيهديه سواء السبيل طمعًا في رحمة الله به ورجاءً في كرمه تعالى، وفي هذا يقول (ابن عباس) « خرج موسى ولا علم له بالطريق إلا حسن ظن بربه[٦]»؛ لذا ألهم الله تعالى (موسى) – عليه السلام – أن "يقصد بلاد مدين إذ يجد فيها نبيًا يُبَصِّرُه بآداب النبوءة ولم يكن موسى – عليه السلام –

=(عسا)؛ وتاج العروس ٢/ ٢٠٥ (جوب)، (ظنن)؛ وكتاب العين ٦/ ١٩٣/ ينظر / المعجم المفصل في شواهد العربية (٦/ ٣٨٠)، وقوله: جوائب من قولهم: هل من جائبة خبر، أي من خبر يجوب البلاد، أي يقطعها، وكذلك: هل من مغربة خبر، إذا جاء من غربة، أي من موضع بعيد. وعسى في هذا البيت يقين / ينظر / جمهرة اللغة (٢/ ٨٤٥).

(١) الأضداد لابن الأنباري (ص٢٣).

(٢) الصحاح (٦/ ٢٤٢٥).

(٣) شرح الفصيح لابن هشام اللخمي صـــ٥١.

(٤) مقاييس اللغة (٤/ ٣١٧).

(٥) الكليات صـــ٦٣٥.

(٦) جامع البيان للطبري (١٨/ ٢٠٣)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد (٤/ ٢٤١)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٤٠٠).

يعلم إلى أين يتوجه ولا من سيجد في وجهته ..."[١]، فأتبع فعله بقوله (عسى ربي أن يهديني سواء السبيل)، هكذا بجملة مكونة من عسى واسمها وخبرها، وإنما جاء التعبير بالفعل (عسى) التي للمقاربة دون غيره فلم يأتِ مثلًا (كاد)لأن "عسى لمقاربة الأمر على سبيل الرجاء والطمع، تقول عسى الله أن يشفيَ مريضي، تريد أن قرْبَ شفائه مرجوٌّ من عند الله تعالى مطموع فيه؛ وكاد لمقاربته على سبيل الوجود والحصول، تقول كادت الشمس تغرب، تريد أن قربها من الغروب قد حصل"[٢]، يضاف إلى ذلك أن (عسى) من بين أخواتها تختص بأنها" تدخل على خبرها (أن).... وإنما خالفت أخواتها لأن معناها الطمع والترجي، وهذا المعنى يكون فيما يستقبل، و(أن) تصرف الفعل إلى معنى الاستقبال، وليس كذلك معنى (كاد) وأخواتها لأنها بمعنى الحال ومقاربة الفعل فلم يحتج في أخبارها إلى أن...."[٣]، أي أن موسى – عليه السلام – فعل ذلك طمعًا فيما عند الله تعالى، وهذا ما بيَّنه سيدنا المصطفى ﷺ – فيما رواه الفاروق عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – قال النبي ﷺ «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا[٤]» فقد أوردت كتب السنة هذا الحديث في باب "اليقين والتوكل[٥]"، وباب "الترغيب في التوكل[٦]"، وهذا الحديث من عيون الأحاديث النبوية المشهورة في التوكل على الله تعالى، والحديث في تركيبه عبارة عن جملة شرطية مكونة من أداة الشرط (لو) وفعل الشرط وجوابه، والتقدير (لو ثبت أنكم تتوكلون على الله حق توكله

---

(١) التحرير والتنوير (٢٠/ ٩٧).
(٢) المفصل في صنعة الإعراب صـــ٣٥٩.
(٣) شرح المقدمة المحسبة (٢/ ٣٥٢).
(٤) مسند أحمد (١/ ٣٣٢).
(٥) رياض الصالحين – ت الفحل (ص٤٦).
(٦) الترغيب والترهيب – إسماعيل الأصبهاني (١/ ٣٧٧).

لرزقكم كما يرزق الطير)، " وللشرط في العربية وظيفتان: أولاهما معنوية وهي إضافة معنى الشرط إلى الجملة الخبرية، وثانيتهما وظيفة أسلوبية أو تركيبية وهي جعل الجملة الثانية معلقة بالجملة الأولى تعليق المسبب بالسبب أو المعلول بالعلة أو الملزوم باللازم [١]"، وحرف الشرط في الحديث (لو) الذي يفيد التمني كـــ(ليت)، وهو يدخل على جملتين فيجعل الأولى شرطًا والثانية جزاءً كقولك: لو جئتني لأكرمتك، وهو يجعل الفعل للمضي وإن كان مستقبلًا... [٢] كقوله تعالى﴿ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمرِ لَعَنِتُّمۡ ﴾ [الحُجُرات:٧]، ويدخل على جوابه (لام جواب لو ولولا) دون (إن) ... ودخولها لتأكيد ارتباط إحدى الجملتين بالأخرى ..." [٣]، أي الارتباط بين جملة الشرط وجملة جواب الشرط، وإنما اختص جواب (لو) بدخول اللام عليه دون (إن) لأنَّ (لو) "غيرُ عاملةٍ بمنزلةِ (قَدْ) فَدَخَلَتْ توكيدًا لربطهما فقط، وأما (إن) فعاملة في الشّرط والجواب فدل انجزامه على ارتباطه بما قبله..."[٤]، وهذه اللام لا تدخل" في جوابِ(لَوْ) و(لَولا)، إلَّا على الماضي دون المستقبل"[٥] واشترط النحاة "أن يَليها الفِعلُ نحو قوله تعالى﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَملِكُونَ خَزَآئِنَ رَحمَةِ رَبِّيٓ إِذا لَّأَمسَكتُمۡ خَشيَةَ ٱلإِنفَاقِۚ﴾ [الإسراء:١٠٠]... على إضمارِ فعلٍ يفسره الظَّاهِر...، ولطلبهما الفعل وجب في (أنَّ) الواقعة بعد (لو) أن يكون خبرها فعلًا كقولك: لو أن زيدًا جاءَني لأكرمته..."[٦]، فهذه كلها شروط(لو) الشرطية التي أجمع عليها جُلُّ النحاة،

(١) رسالة المباحث المرضية صـــ٦٦.
(٢) ينظر المفصل في صنعة الإعراب صـــ٤٣٩، ٤٤٣.
(٣) المفصل في صنعة الإعراب صـــ ٤٥١.
(٤) التخمير شرح المفصل في صنعة الإعراب (٤/ ١٦٩)، وينظر / شرح المفصل لابن يعيش (٥/ ١٤٢).
(٥) شرح المفصل لابن يعيش (٥/ ١٤٤).
(٦) التخمير شرح المفصل في صنعة الإعراب (٤/ ١٥١).

وأجملها(ابن مالك) في ألفيته[1]، وعليه فإن (لو) في هذا الحديث اقترنت بـــ(أنَّ) الناسخة واسمها ضمير الخطاب(كُم) وخبرها جملة (تتوكلون)، وفعل الشرط مقدر من جنس المذكور، أي (لو تتوكلون على الله)، أو (لو ثبت أنكم تتوكلون على الله) ثم جاء جواب الشرط المقترن بلام جواب (لو) وهو الفعل الماضي (لرزقكم)، وإنما آثر التعبير النبوي حرف الشرط (لو) دون غيره كـــ(إنْ) لأن (لو) تخلص الفعل للمضي حتى وإن كان مستقبلا، وذلك بغرض" إنزال غير المتيقن منزلة المتيقن، وغير الواقع منزلة الواقع وهذا ما فسروا به التعبير عن الأحداث المستقبلة بأفعال ماضية، في غير الشرط أيضا، نحو قوله تعالى ﴿**وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ**﴾[الزُّمَر:٦٨]، وقوله تعالى ﴿ **وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا** ﴾[الكهف:٤٧]، قالوا جيء بهذه الأفعال على صيغة الماضي، وإن كانت مستقبلة للدلالة على أنها متيقنة الحصول، وأنها بمنزلة الفعل الماضي في التحقق"[2]، أي أن هذه الأفعال لما كانت في حكم الوقوع والاستقرار عُبر عنها بصيغة المُضي لتحقق وقوعها وتيقنه، ولابن جني لفتة – ما أحسنَها وألطفَها – حين عقد في خصائصه بابا (في الاحتياط) فقال "وكذلك قولهم: إن قمتَ قمتُ، فيجيء بلفظ الماضي والمعنى معنى المضارع، وذلك أنه أراد الاحتياط للمعنى، فجاء بمعنى المضارع المشكوك في وقوعه بلفظ الماضي المقطوع بكونه حتى كأن هذا قد وقع واستقر لا أنه متوقع

---

(١) وقد نظم (ابن مالك) هذه الشروط في ألفيته فقال:

«لو حرف شرط في مضى ويقل ... إيلاؤها مستقبلا لكن قُبِل.

وهي في الاختصاص بالفعل كإن ... لكن (لو) (أنَّ) بها قد تقترن.

وإن مضارع تلاها صرفا ...إلى المضي نحو لو يفي كفى/ ينظر/ شرح ألفية ابن مالك للشاطبي (٦/ ١٧٨).

(٢) معاني النحو (٤/ ٥٦).

مترقب..."[١]، أي أن التعبير عن الاستقبال بصيغة الماضي إنما يقع من باب الاحتياط للدلالة على وقوع الأمر وتيقن حدوثه، وعليه يكون معنى الحديث: لو أنكم بلغتم حد اليقين في التوكل على الله لكان تيقُّن رزقكِم من الله تعالى مكفولًا لكم بحق يقين توكلكم على الله وأخذكم بأسباب الرزق.

وبهذا يتضح أن تركيب النص القرآني على لسان سيدنا(موسى) – عليه السلام – ورد بفعل المقاربة (عسى) مع اسمه وخبره المقترن بأنْ التي تصرِفُ الفعلَ إلى معنى الاستقبال للدلالة على أن قيمة التوكل على الله تحتاج فقط يقين في حسن الظن بالله، فلو وجد هذا اليقين لأصبح ما لم يحدث واقعا لا محالة، وهذا ما ترجمه سيدنا (موسى) – عليه السلام – حينما عبر بالفعل (عسى) الذي يصرف المستقبل إلى المضي فهو موقن بهداية ربه له سواء السبيل، كما أن الهدي النبوي ساهم في إرساء معيار اليقين في التوكل على الله تعالى والذي جاء بأسلوب الشرط بأداته (لو) التي تفيد التمني كـــ(ليت)، وتدخل على جملتين فتجعل الأولى شرطًا والثانية جزاءً كقولك: لو جئتني لأكرمتك، وتجعل الفعل للمضي وإن كان مستقبلًا، تناسبًا مع حال الإنسان الذي يظن أنه يُحصِّل الرزق بحرصه عليه وعمله وكَدِّه، والحق أن الإنسان يفعل أسباب الرزق بسعيه ويتوكل على الله ولا يحرص؛ لأن الرزق مقدر، وهو قد فعل له الأسباب؛ لذا جاء التعبير النبوي بأداة الشرط (لو) التي تفيد التمني للدلالة على" معنى في النفس يقع عند فوت فعل كان للمتمني في وقوعه نفع أو في زواله ضرر..."[٢]، أي أن المصطفى ﷺ يؤكد في هذا الحديث على أن الرزق مضمون مكفول طالما يتوكل الإنسان على ربه في أمور حياته مع أخذه بالأسباب .

---

(١) الخصائص (٣/ ١٠٧).

(٢) معجم الفروق اللغوية للعسكري صـــ١٢٣.

المبحث الثاني

قيمة التوسم والتفرس[1] بين النص القرآني والهدي النبوي

القيمة الأخلاقية	معيار النص القرآني	معيار الهدْي النبوي
التفرس والتوسم	﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القصص:٢٣]	«عَن أَنَسِ بن مالك – رضي الله عنهما – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِبَادًا يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ[2]»
الأسلوب التركيبي	أسلوب استفهام (سؤال وجواب)	أسلوب توكيد
الأداة	سؤال استنكاري موجز مركب من: (ما الاستفهامية + المستفْهَم عنه (الخطْب)+ كاف الخطاب + ضمير التثنية).	إنَّ التوكيدية واسمها وخبرها، مع تقديم الخبر على المبتدأ النكرة.
دلالة الأداة	الاستفهام بـــ (ما) يدل على أن المستفهم عنه في غاية الإبهام، فجاء السؤال بها مكتنزًا في طياته العديد من التساؤلات التي تتطلب جوابًا .	التأكيد على أن هؤلاء العباد غير معروفين ولا صفة لهم إلا أنهم يَعرِفون الناس بالتوسم والتفرس.
النتائج		
نتائج النص القرآني		**نتائج الهدْي النبوي**
﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾[القصص:٢٦]		الاتصاف بخلق التوسم يكفل لصاحبه أن يكون عبدًا لله يتصف بمكارم الأخلاق .

(١) يقال: توسم فيه الخير: (تفرسه وتبيَّنه)، وأصله: علم حقيقته بسمته، ويقال: توسمه: إذا نظره من قرنه إلى قدمه، واستقصى وجوه معرفته، والمتوسم هو الذي ينظر في وسم المعنى فيستدل به على المعنى، وأما الفراسة بالعين فهي: إدراك الباطن / ينظر / تاج العروس من جواهر القاموس (١٦/ ٣٢٨)، (٣٤/ ٤٦)، المعجم الاشتقاقي المؤصل» (٢/ ١٠٧١).

(٢) مسند البزار = البحر الزخار (١٣/ ٣٢٦).

	كان من نتائج توسم (موسى) – عليه السلام – الخير في الفتاتين وتوسمهما الخير فيه ما حدث من الفتاتين فور عودتهما لأبيهما وقصهما ما حدث لهما فجاءته إحداهما – بفاء التعقيب – بدعوة أبيها له لمكافأته على حسن صنيعه معهما ثم كانت المفاجأة الكبرى بقول إحداهما لأبيها (يا أبتِ استأجره)، وكأن التوسم والفراسة بلغا من الفتاة مبلغًا أن طلبت من أبيها أن يتخذه أجيرًا، وهي لا تُقبِل على مثل هذا الطلب إلا لِمَا توسمت فيه من مكارم الأخلاق	أكد النبي ﷺ على أن من يعرفون الناس بالتوسم إنما هم عباد الله تعالى، وكأن هذا الخلق ضمان من الله تعالى لمن يتصف به أن يكون من عباد الله تعالى المصطفَين وفي هذا دلالة على علو شأن هذا الخلق الذي يعد رأس مكارم الأخلاق.
نقطة التقاء بين الأسلوبين	يلتقي كلا الأسلوبين أي القرآني والنبوي في الاستعانة في كل بقرينة الاختصار والوجازة في التعبير وفق ما تقتضيه الطبيعة المتوسمة التي تستدل على الأشياء بالنظرة المتفحصة والبصيرة النافذة مع الاكتفاء بإشارة دالة أو لمحة بارقة موجزة مركزة كحال المتوسمين الذين تكشَّفت لهم الأشياء تكشفًا لم يحظَ به غيرهم، كما تكشف حال الفتاتين لموسى – عليه السلام – مع عدم كلامهما معه، وكما تكشف حال – عليه السلام – بتحليه بمكارم الأخلاق لهما مع عدم كلامه معهما سوى قوله لهما (ما خطبكما) فطلبتا منه المساعدة – تلويحًا – بقولهما(وأبونا شيخ كبير)، والحال أن كلا الطرفين استعان بقرينة الاختصار كعامل مساعد لإتمام التفرس.	

بعد إجمال هذه القيمة الأخلاقية في الجدول السابق يأتي دور عرض وتفصيل هذا فيما يأتي:

ورد التعبير القرآني في قصة نبيِّ الله موسى – عليه السلام– حينما توسم في المرأتين اللتين كانتا تذودان أغنامهما عن الماء، ولفت انتباهه انعزالهما عن القوم بأغنامهما، فتعجب لهذا، وترجم هذا التعجب في صورة سؤال للفتاتين قائلًا «ما خَطْبُكُما»؟ والخطب" الشَّأْن أو الأمر، صَغُر أَو عَظُم..."(١)، واستعمال

(١) المحكم والمحيط الأعظم (٥/ ١٢٢).

السؤال بالخطب إنما هو في "مصاب أو مضطهد أو من يُشفَق عليه أو يأتي بمنكر من الأمر فكأنه بالجملة في شر"[١] وكأن منظر الفتاتين في ذودهما لماشيتهما وانحيازهما وانعزالهما عن مكان السقي قد أثار حفيظة موسى – عليه السلام – بمروءته[٢] وشهامته[٣]، لا سيما أنهما فتاتان، فاستنتج موسى – عليه السلام – بتوسمه وفراسته أن خطبًا ما وراء انعزالهما وعدمِ مزاحمتهما الرعاء، وصدقت فراسته؛ إذ الحال أن" ما بين الفتاتين وبين القوم ما يدعو إلى هذه القطيعة البادية لعينيه... فقد وقفوا من هذا الرجل الصالح – الذي يحمل إليهم دعوة السماء، بتوحيد الله، وبالعدل في الكيل والميزان– وقفوا منه موقف الخصومة، والقطيعة فلم يكن لفتاتيه من يمدّ إليهما يدًا، وأبوهما شيخ كبير"[٤] وهذا ما حمل موسى ــ عليه السلام – على هذا الاستنكار – الذي وقع لأجله السؤال لعِظَمِه – فحمل في طياته العديد من الاستفسارات التي سرعان ما بادرت الفتاتان بالإجابة على كل هذه الاستفسارات إجابة شافية (لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير) فلم تقتصرا على الإجابة على الحال بل اشتملت الإجابة على السبب أو العلة من خروجهما فأجابتا معتذرتين (وأبونا شيخ كبير)، " تلويحًا باحتياجهما إلى المساعدة "[٥] من هذا الشخص الغريب الذي لا يعرفانه، وهذه فِراسة منهما؛ فقد توسمتا في شخص موسى – عليه السلام – مكارم الأخلاق وصدقت فِراستهما فيه كما صدقت فِراسته فيهما مصداقًا لقول

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٨٣).

(٢) يقال: "مَرُؤ" الرجلُ مُروءةً حَسُنت هيأتُه وعَفافُه عمالا يحلُّ له "ينظر / كتاب الأفعال (٣/ ٢٠٠) / أساس البلاغة (٢/ ٢٠١).

(٣) يقال: رجل شهم بين الشهامة والشهومة، إذا كان حادا ذكيا ماضيا، ينظر جمهرة اللغة (٨٨١/٢).

(٤) التفسير القرآني للقرآن (١٠/ ٣٣٤).

(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٤/ ٢٦٥).

المصطفى ﷺ «**الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر اختلف**[١]»، أما فراسة موسى – عليه السلام – فقد ترجمها في سؤال استنكاري موجز مركب من: (ما الاستفهامية التي تدل على" غاية الإبهام" [٢] + المستفْهَم عنه (الخطْب)+ كاف الخطاب + ضمير التثنية) وهذا السؤال اكتنز في طياته العديد من الاستفهامات مع وجازته التي اقتضتها طبيعة موسى – عليه السلام – المتوسمة التي تستدل على الأشياء بالنظرة المتفحصة والبصيرة النافذة مع الاكتفاء بإشارة دالة أو لمحة بارقة موجزة مركزة كحال المتوسمين الذين تكفيهم آيات للاتعاظ مصداقًا لقول الله تعالى ﴿**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ** ٧٥﴾[الحِجر:٧٥] فهم ليسوا بحاجة إلى الإسهاب أو الإطناب للاقتناع أو إقناع غيرهم وإنما تكفيهم لمحاتٌ ليقتنعوا، وإشاراتٌ ليُقنِعوا غيرهم؛ حيث تكشَّفت لهم الأشياء تكشفًا لم يحظَ به غيرهم، كما تكشف حال الفتاتين – بالقطيعة مع قومهما – لموسى – عليه السلام– مع عدم كلامهما معه، وكما تكشف حال موسى – عليه السلام – بتحليه بمكارم الأخلاق لهما مع عدم كلامه معهما سوى قوله لهما (ما خطبكما) فطلبتا منه المساعدة – تلويحًا – بقولهما (وأبونا شيخ كبير)، والحال أن كلا الطرفين استعان بقرينة الاختصار كعامل مساعد لإتمام التفرس، فالطرف الأول وهو موسى – عليه السلام – ابتدرهما بسؤال يتضمَّن أسئلة عدة مقدرة فقال (ما خطبكما) والتقدير" ما مخطوبكما، أي: مطلوبكما من الذياد، فسمى المخطوب خطبا" [٣] "وهو كالتعبير بالشأن عن المشؤون الذي يستحق أن يقع فيه التخاطب لعظمه، في ذيادكما لأغنامكما عن السقي"[٤]، وكأن هذا السؤال

---

(١) صحيح البخاري /كتاب الأنبياء / باب: الأرواح جنود مجندة/ حديث رقم ٣١٥٨ / (٣/ ١٢١٣).

(٢) شرح التسهيل = تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد (٢/ ٢٠٢).

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٤٠٠).

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٤/ ٢٦٥).

الموجز تركيبًا تضمن سؤاله عن علة انعزالهما عن القوم وذودهما ماشيتهما عن السقي، وأما الطرف الثاني وهو الفتاتان كانت إجابتهما على سؤال الطرف الأول بقولهما (لا نسقي حتى يصدر الرعاء) والتقدير" لأنَّا من النساء، ولا إخوة لنا تكفينا ذلك، ثم عطفتا على هذا المقدر قولهما(وأبونا شيخ كبير) أي لا يستطيع لكبره أن يسقي، فاضطررنا إلى ما ترى، وهذا اعتذار أيضًا عن كون أبيهما أرسلهما لذلك لأنه ليس بمحظور..." [1]، وإذا كان موسى – عليه السلام – اختزل كلامه في صورة سؤال واحد مختزِنٍ فيه العديد الأسئلة التي حدثته بها نفسُه وأثارتها حالُ الفتاتين إلا أنه مع ذلك اقتصر على أداة الاستفهام والمستفهم عنه لهما سويًا دون إفراد كل منهما بسؤال، وهذا يُعد من قبيل الحياء، والشهامة، والمروءة الذي سرعان ما لمسته كلتا الفتاتين فأسرعتا على الفور بقولهما (لا نسقي حتى يصدر الرعاء) في صورة جملة فعلية في محل نصب مفعول به مقول القول، أي لا نتمكن من السقي حتى ينصرف الرعاء، ثم عطفتا على جملة القول هذه جملةً أخرى حالية مكونةً من مبتدأ، وخبر، ونعت (وأبونا شيخ كبير) على تقدير: أي وما لنا رجل يقوم بذلك وأبونا شيخ قد أضعفه الكبر فلا يستطيع القيام بالسقي، هكذا على نفس شاكلة السؤال المختزَل كانت الإجابة مختزِنةً معانيَ عدة منع الحياء كلتيهما من البوح بها، ولكنه التوسم مَن حمل كلا الطرفين على هذه المحادثة الماتعة العفيفة التي سرعان ما آتت أُكُلَها فور عودة الفتاتين لأبيهما وقصهما ما حدث لهما فجاءته إحداهما – بفاء التعقيب – بدعوة أبيها له لمكافأته على حسن صنيعه معهما ثم كانت المفاجأة الكبرى بقول إحداهما لأبيها (يا أبتِ استأجره)، وكأن التوسم والفراسة بلغا من الفتاة مبلغًا أن طلبت من أبيها أن يتخذه أجيرًا، وهي لا تُقبِل على مثل هذا الطلب إلا لما توسمت فيه من مكارم الأخلاق حياءً، وقوة، وأمانة، وهذا ما عللت به طلبها

(١) ينظر / نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٤/ ٢٦٦).

فقالت (إن خير من استأجرت القوي الأمين)، فجاء طلبها من أبيها بمثابة إشارة سريعة منها بميلها إليه وإعجابها به خُلُقًا وخَلْقًا، فترددت تلطفًا وتحنانًا إلى أبيها، وصدَّرت طلبَها بنداءٍ تضمَّن الرفقَ، واللين؛ استمالةً لقلبه وتوقيرًا وتعظيمًا له، فقالت(يا أبتِ) بكسر تاء التأنيث اللفظي التي هي "عوض عن ياء المتكلم المحذوفة وأصله يا أبي، إلا أنه كثر في ألسنتهم، واستعملوها كثيرًا، فحذفوا الياء على عادتهم، فكأنهم أرادوا ألا يُخِلُّوا بالاسم حين حذفت الياء منه، فألحقوا تاء التأنيث من ذلك المحذوف..." [(١)]، ومن أملح ما قيل في التعبير بأسلوب النداء (يَا أَبَتِ) أن قائلَه "يريد أنْ يُثبتَ أنه وإنْ كان أبًا إلا أن فيه حنان الأبوين: الأب والأم، فجاء بالتاء التي تشير إلى الجانب الآخر؛ لذلك نجدها لا تُقال إلا في الحنانية المطلقة، كما لو ماتت الأم مثلًا، فقام الأب بالمهمتين معًا، وعوَّض الأبناءَ حنانَ الأم المفقود..."[(٢)]، ثم إنها بعد هذا التودد والتلطف في النداء لأبيها طلبت منه التماسًا[(٣)]– واستعمال صيغة الأمر في موضع الالتماس سائغ شائع – أن يستأجر موسى فقالت جملة موجزة مكتملة الأركان مركزة، وهي: (استأجره) تناسبًا مع حيائها وأدبها، وإتمامًا لهذا الحياء الجم عللت مبهِمةً دون تخصيص فقالت (إن خير من استأجرت القوي الأمين) ولم تقل (إنه قوى أمين) "حياءً من التعيين وحشمة وخفرًا... "[(٤)]، أي أنه إنما بعثها على هذا الأدب شيمة الحياء تلك التي عُززت وعُضدت بشيمة الفراسة؛ حيث إنها فطنت من قول أبيها له (لا تخف نجوت من القوم الظالمين) أن أباها آواه إليه، كما أنها رأت من أخلاقه ما يدعو إلى عشرته، فتوسمت فيه الخير، ونظرت إليه نظرة الأنثى العفيفة

(١) شرح ألفية ابن مالك للشاطبي = المقاصد الشافية (٥/ ٣٤٥).
(٢) تفسير الشعراوي (١٥/ ٩٠٩٧).
(٣) هو الطلب برفق مع التساوي بين الآمر والمأمور في الرتبة / ينظر في ذلك/ التعريفات صـــ٣٤، الكليات صـــ١٨٠.
(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٢/ ٤٥٩).

الحصان على أنه الرجل الذي تطمع أن يكون أهلًا لها، فتكْشِفُ لأبيها عن محاسن أخلاقه التي رأتها فيه، فقد رأت قوته فيما كان منه من السقي لهما، كما رأت أمانته في غض بصره عنها، وقد جاءته وحدها تدعوه إلى أبيها، وفي كل هذا ما يؤكد على قوة فراسة هذه الفتاة لدرجة ترتقي بها أن تُصنَّفَ أنها من أفرس الناس مصداقًا لقول (ابن مسعود) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إِنَّ أَفْرَسَ النَّاسِ ثَلَاثَةٌ: الْعَزِيزُ حِينَ تَفَرَّسَ فِي يُوسُفَ، فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: أَكْرِمِي مَثْوَاهُ، وَالْمَرْأَةُ الَّتِي رَأَتْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَتْ لِأَبِيهَا: يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ، وَأَبُو بَكْرٍ حِينَ اسْتَخْلَفَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا**»[1]، فتوسمت في موسى – عليه السلام – الخير والصلاح وطالبت به زوجًا لها في حشمة وحياء وأدب جم، شأن الحصان العفيفة، ويكفيها أنها ربيبة بيت النبوة، فجاء طلبها في صورة قول حكيم جامع ؛"لأنه إذا اجتمعت الأمانة والكفاية في القائم بأمر فقد تم المقصود"[2]؛ ولهذا جاء طلبها المعلل المصدر بأداة التوكيد إشارة إلى حرصها وإصرارها على وجود هذا الرجل في حياتها توسُّمًا في صلاحه، وهذا الخلق لا يتأتى إلا لعباد مخصوصين من عباد الله تعالى، يحكي هذا ما رواه **أَنَسُ بن مالك** – رضي الله عنه – قَالَ: **قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم** «**إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِبَادًا يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ**[3]»، وهذا الحديث وإن لم يكن من الأحاديث المشهورة في خُلُق الفِراسة والتوسم أو ما يطلق عليه حديثًا (علم الفِراسة) إلا أنه يعد من جوامع الكلم النبوي المحمدي في التوسم والتفرس، وهو في تركيبه عبارة عن

(١) المستدرك على الصحيحين للحاكم (٣/ ٩٦).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٤/ ٢٦٩).

(٣) حسَّنه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٤٣٣)، كما ورد في مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد (٢/ ٥٠٦)، مسند البزار = البحر الزخار (١٣/ ٣٢٦)، المعجم الأوسط للطبراني (٣/ ٢٠٧) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٠/ ٢٦٨).

جملة اسمية مؤكدة بـــ(إن التوكيدية) واسمها(عبادًا) بوزن (فِعالًا) جمعُ (عَبْدٍ) بوزن (فَعْلٍ)، الذي كُسِّر على تسعة أَبنيةٍ" فِعَال، وفُعُول، وفُعُل، وأَفْعُل، وفَعِيل، وأَفاعل، وفِعْلان، وفَعَلَة، وفُعْلان... [١]" أي أن هذا البناء (فَعْل) تعددت أوزان جموعه وتنوعت بين جموع القلة وجموع الكثرة، وهذا بسبب كثرة استعماله وشيوعه على الألسنة، "ألا ترى أنّ (فَعْلًا) ساكنَ العين لمّا كان أكثرَ من (فَعَلٍ)، جاؤوا لمضاعِفِه ببناءِ قلّة وبناءِ كثرة، نحو قولهم: صَكٌّ، وأصُكٌّ، وصِكاكٌ، وصُكُوكٌ... [٢] " فكثرة أبنية جمعه دليل على خفة البناء، وإنما شاع في جمع (عَبْدٍ) (عِباد) دون غيرها؛ لأن فِعَالًا أَخفُّ بناء، وهذا شأن العباد لا سيما إذا كانوا عبادًا لله ربانيين فإن أرواحَهم تعلقت ببارئها وسَمَتْ إلى رتبة العبودية الخالصة لله تعالى، فالعبد" الإِنْسَان حُرّا كَانَ أَو رَقِيقا يُذْهَبُ بذلك إِلَى أَنه مَرْبوبٌ لِباريه جَلَّ وعزّ...، وَالجمع أعْبُدٌ، وعَبِيدٌ، وعِبادٌ، وعُبُدٌ، وعِبْدان، وعُبْدان، وأعابِدُ، وعباديد، وله جموع أُخَر... [٣]، وإن اختصت كلٌّ من صيغة (فعيل) (عَبِيد) وصيغة (فِعَال) (عِباد) بكونهما مفردتين قرآنيتين[٤] إلا أن التعبير النبوي آثر صيغة (فِعال) (عباد) في هذا الحديث للدلالة على أن هؤلاء العباد إنما هم أناس مختصون وهم عباد الله المخلَصون وليس كل من في السماوات والأرض كما قال الله تعالى ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدٗا ٩٣﴾[مريم:٩٣]، أي أن كلَّ شيءٍ عبدٌ لله طوعًا أو كرهًا، وعليه فالكل عبيدٌ لله تعالى، أما عباد الله تعالى وهم العابدون له بحق وطواعية فهم العباد المقصودون من هذا الحديث، ولله دره الراغب الأصفهاني حينما فرَّق بين العابد والعبد فقال"

---

(١) الأصول في النحو (٣/ ١٣).

(٢) شرح المفصل (٣/ ٢٤٠)، شرح شافية ابن الحاجب (٢/ ١٠١).

(٣) ينظر / المحكم والمحيط الأعظم (٢/ ٢٥)، العدة في إعراب العمدة (٢/ ٣٧).

(٤) وردت مفردة (عبَاد) في كتاب الله تعالى أربعًا وعشرين مرة، بينما وردت مفردة (عَبِيد) خمس مرات.

ليس كل إنسان عبدًا لله، فإن العبد على هذا بمعنى العابد، لكن العبدَ أبلغُ من العابد، والناسُ كلُّهم عبادُ الله تعالى، بل الأشياءُ كلُّها كذلك، لكن بعضَها بالتسخير وبعضَها بالاختيار، وجمع العبد الذي هو مسترَقٌّ: عبيد، فالعبيد إذا أضيف إلى الله أعم من العباد..." [(١)]؛ ولهذا لم ترد مفردةُ (عبيد) في القرآن الكريم إلا مقترنة بنفي ظلم الله تعالى للعبيد [(٢)]، كما قال الله تعالى ﴿**مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٢٩**﴾[ق:٢٩] للدلالة على أن الله تعالى لا يظلم أحدًا، حتى أولئك الذين عبدوا سواه وانتسبوا إلى غيره من الذين تسمَّوا بعُبَّد الشمس وعُبَّد اللات، وعُبَّد الطاغوت، فلما كانت مفردة (عبيد) تقتضي عموم الخلق وكانت مفردة (عباد) تقتضي عبادًا مخصوصين كان الأنسب للسياق النبوي التعبير بـــ (عِباد) للدلالة على أن هذا الخُلُق وهو (التوسم) أو (التفرس) لا يتصف به إلا جماعة مخصوصة من الخَلْقِ يطلق عليهم (عبادًا)؛ لذا فهم محلُّ شرف ورفعة أن انتسبوا إلى الله تعالى فنُعتوا بأنهم عبادُه المصطفَون، ثم أورد الحديثُ النبويُّ صفةَ هؤلاء العباد بأنهم (يعرفون الناس بالتوسم)، وكأن هذا الخُلُقَ كافٍ لأن تكون من عباد الله تعالى، وإذا كان الجزاء من جنس العمل فإن شرف هذا الجزاءِ وهو كونِ العبد من عباد الله تعالى يقتضي شرف العملِ نفسِه وهو خُلُق التفرس أو التوسم الذي لم يحظَ به إلا طائفة مخصوصة من خَلْقِ الله تعالى، فالتوسم مأخوذ من السمة وهو التفرس" يقال تفرس في الشيء، إذا توسمه ... والفِراسة بالعين: إدراك الباطن"[(٣)]، والواسم " الناظرُ إليك مِنْ قَرْنِكَ إلى قَدَمِك، وفيه معنى التثُّبت..." [(٤)]، وقد فُسِّر حديث «**اتقوا فراسة المؤمن، فإنه**

(١) المفردات في غريب القرآن صـــ٥٤٣.

(٢) ورد هذا التركيب (وما ربك بظلام للعبيد) خمس مرات في[آل عمران:١٨٢، الأنفال:٥١، الحج:١٠، فُصِّلَت:٤٦، ق:٢٩].

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس (١٦/ ٣٢٨).

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون (٧/ ١٧٦).

ينظر بنور الله [١]» على معنيين، أحدهما:" ما دل ظاهر هذا الحديث عليه، وهو ما يوقعه الله تعالى في قلوب أوليائه، فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامات وإصابة الظن والحدس، والثاني: نوع يُتعلَّم بالدلائل والتجارب والأخلاق، فتعرف به أحوال الناس..." [٢]، ولعل كلا النوعين متوقف على الآخر فإن مَنْ يتعلم إدراك أحوال الناس بالدلائل والتجارب لا يلبث أن يمُنَّ اللهُ تعالى عليه بإصابة الظن والحَدْس لا سيما إذا كان صالحًا تقيًا، وما قوة بصيرة وفِراسة الفاروق عمر بن الخطاب عنا ببعيدة، حتى قيل فيه "**مَا كَانَ أَنْظَرَهُ بِنُورِ اللَّهِ فِي ذَاتِ اللَّهِ وَأَفْرَسَهُ**" [٣]، وكذلك معرفةُ العباسِ بن عبد المطلب رضي الله عنه الموتَ في وجه رسول الله ﷺ قوةُ فِراسةٍ منه....." [٤] إلى غير ذلك مما ورد من أخبار الصالحين من أولياء الله تعالى، كالحسن البصري رضي الله عنه، والشعبي رحمه الله، "فإذا امتلأ القلب من نور الله تعالى نظرت عينا قلبِه بنوره فأبصر في صدره ما لا يحاط به وصفا ...."[٥]؛ لذا وَصف النبيُّ ﷺ مَن يعرف أحوال الناس بالتوسم والتفرس أنه من عباد الله، وجاء هذا الوصف مؤكَّدًا بإنَّ التوكيدية، وتقديم الخبر على المبتدأ النكرة ليفيد أن هؤلاء العباد غيرَ معروفين ولا صفة لهم إلا أنهم يَعرِفون الناس بالتوسم والتفرس.

يتضح مما سبق أن قيمة خلق (التوسم) أو التفرس تجلت في هذا الحوار الموجز المختصر الذي دار بين كلٍّ من موسى – عليه السلام – والفتاتين، فجاء الحوار بين الطرفين مختصرًا وفق ما يقتضيه خلق (التوسم)، مع ما يصاحبه

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ١٠٢)، والأوسط (٣/ ٣١٢) بإسناد حسن.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٢٨).

(٣) اعتلال القلوب – الخرائطي(٢/ ٣٩٤).

(٤) ينظر ما أورده الإمام البخاري في باب مرض النبي ــ صلى الله عليه وسلم ـــ ووفاته/ صحيح البخاري (٤/ ١٦١٦).

(٥) نوادر الأصول في أحاديث الرسول (٣/ ٨٨).

من وجازة في الكلام قد تصل بصاحبها إلى خلق (الحياء) الذي يتحرز صاحبه عن الوقوع في الإثم والبهتان فيقل كلامه، ويسكن لسانه لا لخلل أو عجزٍ عن البيان وإنما حياءً ودماثة خلق تمنع صاحبها من الوقوع في المنكرات، فكان من نتاج خلق (التوسم) رأس مكارم الأخلاق كلها وهو خلق الحياء، الذي سيتم تناوله في المبحث التالي.

المبحث الثالث

قيمة الحياء بين النص القرآني والهدي النبوي

القيمة الأخلاقية	معيار النص القرآني	معيار الهدي النبوي
الحياء	﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص:٢٥]. ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾[القصص:٢٦]	١- قال رَسُول اللَّهِ ﷺ «الحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ، أَوْ قَالَ: الحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ»[(١)]. ٢- قال رَسُول اللَّهِ ﷺ «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت[(٢)]».
الأسلوب التركيبي	أسلوب خبري يصف الفتاة حال مشيتها ويحكي قولها.	١ــ أسلوب تأكيد مكون من جملة اسمية مبتدأ مؤكد وخبر، أو مبتدأ وخبر مؤكد. ٢ــ أسلوب شرط مكون من إذا الشرطية غير الجازمة وفعل الشرط وجوابه المقترن بالفاء لأنه فعل طلبي.
الأداة	١- تعدية الفعل تمشي بحرف الاستعلاء (على). ٢- انتقاؤها ألفاظًا ذات أصوات قوية الجرس.	١- توكيد المبتدأ مرة وتوكيد الخبر أخرى. ٢- إذا الشرطية غير الجازمة. ٣- ما الموصولة في قوله (ما شئت)
دلالة الأداة	١- التعبير بحرف الاستعلاء للدلالة على أن الفتاة كانت متمكنة من الحياء حتى صار كأنه مركب فيها وهي متمكنة منه، مالكة لزمامه. ٢- رغبة منها في إضفاء حالة من الشدة، والحدة والصرامة على	١- ورد المبتدأ (الحياء) مشفوعا بتوكيد معنوي، وكذا الخبر في الرواية الثانية على سبيل التقييد. ٢- إذا الشرطية مختصة بالتعليق على الشرط المقطوع بوقوعه حقيقة أو حكما

(١) صحيح مسلم (١/ ٤٧) / كتاب الإيمان / باب شعب الإيمان.
(٢) صحيح البخاري (٥/ ٢٢٦٨) باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت.

	الخطاب، لا سيما أنها تخاطب رجلًا أجنبيًا، دون تلطيف في الكلام أو تنعيم في القول.	٣- ما موصول اسمي يفيد الإبهام.
النتائج		
نتائج النص القرآني		نتائج الهدي النبوي
كان من نتائج تحلّي هذه الفتاة الصالحة بخلق الحياء – كما ورد في النص القرآني – من سيدنا موسى – *عليه السلام* – أنها استحقت عن جدارة أن تكون زوجًا لنبي من أنبياء الله تعالى، وأي خير ترجوه فتاة بعد هذا الخير الذي عاد عليها من حيائها، إنه الخير كله كما بيَّن من لا ينطق عن الهوى حين ﷺ (الحياء خير كله).		١- التحلي بخلق الحياء في كل صوره قولًا أو عملًا يكفل لصاحبه الخير كله. ٢- من حُرم هذا الخُلُق فقد حُرم خيرًا كثيرًا يجسده هذا الإبهام الشديد الذي أضفاه التعبير بـــ (ما) الموصولة في قوله (فاصنع ما شئت) التي تستعمل في المبهم أمره.
نقطة التقاء بين الأسلوبين	يلتقي كلا الأسلوبين أي القرآني والنبوي في إضفاء ملمح العموم والشمول على الصعيدين سواء على الصعيد القرآني الذي يتمثل العموم والشمول في هذا التعبير الذي صوَّر إحدى المرأتين حالة ذهابها إلى موسى والحياء يعمها ويشملها من منبت رأسها إلى أخمَص قدمها، فبدت وكأن الحياء صار لها بساطًا تمشي عليه، ليس مِشيتها فحسب؛ بل ربما عم الحياء كلامها؛ حيث قالت له على استحياء مقالتها يؤيد هذا ما نقله السجاوندي بجواز الوقف على قوله (تمشي)، ثم الابتداء بـــ قوله(على استحياء)، أي: على استحياء قالت، ولعله جعل قوله على استحياء حالا مقدّمة من قالت، أي: قالت مستحيية؛ لأنها كانت تريد أن تدعوه إلى ضيافتها، وما تدري أيجيبها أم لا، وهو وقف جيد و وإن كان الأجود وصله[1] "، فهذا الوقف يعضد ويقوِّي كون هذه الفتاة قد عمها الحياء وشملها قولًا وفعلًا، وأما على الصعيد النبوي بشِقَّيه:(إثبات الحياء، ونفي الحياء)، ففي إثبات الحياء يتمثل فيما يعود على صاحبه من خير كثير وافر عميم بما يفيده التوكيد المعنوي حيث حصر عموم الخير على الحياء، وأما في نفي الحياء فيتمثل في التعبير بـــ (ما الموصولة) التي تفيد الإبهام للدلالة على أن فاقد الحياء لا يُرجى من ورائه أي نفع أو خير؛ بل تراه يتقلب في الأمور كما يشاء بلا رادع أو وازع .	

(١) منار الهدى في بيان الوقف والابتدا صـــ ٥٨١.

بعد إجمال هذه القيمة الأخلاقية في الجدول السابق يأتي دور عرض وتفصيل هذا فيما يأتي:

يعد خلق الحياء رأس مكارم الأخلاق كلها، وعليه فإن الإنسان الذي يتحلى بهذا الخلُق يصرفه عن الوقوع في المنكرات والمعاصي أو حتى التفكير فيها، فخُلُقٌ كهذا حريٌّ به أن يكون حصناً منيعًا لمن يتصف به شأن هذه الفتاة التي جاءت موسى – عليه السلام – تدعوه للقاء أبيها، وحالها أنها كانت متمكنة من الحياء إلى حد مجيء التعبير بأنها (تمشي على استحياء) للدلالة على أن هذا الحياء" كأنه مركب فيها وهي متمكنة منه، مالكة لزمامه؛ لذا عبر بأداة الاستعلاء فقال(على استحياء) أي حياء موجود منها لأنها كُلفت الإتيان إلى رجل أجنبي تكلمه وتماشيه..."[١]، فكانت منها مِشية على حياء وخفر، وكأن الحياء صار "بساطًا ممدودًا على طريقها إلى موسى.. إنها لا تمشى على الأرض، ولكنها تمشى على حياء، تتعثر فيه قدماها... ويضطرب له كيانها..." [٢] شأن الحَصَانِ العفيفة، كما كان منها قول حاد صارم بعيد عن الخضوع في القول؛ حيث قالت بنبرة حادة جادة قوية (إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا) هكذا دون تلطيف في الكلام أو تنعيم في القول شأن الرزان الوقور؛ بل إنها استعانت على رزانتها ووقارها بانتقائها ألفاظًا ذات أصوات قوية الجرس سواء في القول السابق أم في قولها (يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين)؛ حيث ورد صوت همزة القطع في القولين معًا (ثماني) مرات رغبة منها في إضفاء حالة من الشدة، والحدة، والصرامة على الخطاب، لا سيما أنها تخاطب رجلًا أجنبيًا، وكأن خلق الحياء وحده كفيل بأن تتصف هذه الفتاة بمكارم الأخلاق من عفة، ووقار، وتحصن، ورزانة، ومع أن من تخاطبه يتصف بالعفة،

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٤/ ٢٦٨).
(٢) التفسير القرآني للقرآن (١٠/ ٣٣٦).

والأمانة، والفتوة، والحُكم، والعلم، إلا أن حياءها منعها من الانسياق وراء نفسها ولجأت إلى الإبهام والتلميح، فطلبت من أبيها أن يُبقيه عنده أجيرًا، وإتمامًا للاحتشام عللت قائلة (إن خير من استأجرت القوي الأمين)، هكذا كان النص القرآني لقيمة الحياء من سيدنا موسى – عليه السلام – وهذه الفتاة الصالحة التي استحقت عن جدارة أن تكون زوجًا لنبي من أنبياء الله تعالى، وأي خير ترجوه فتاة بعد هذا الخير الذي عاد عليها من حيائها، إنه الخير كله كما بيَّنه من لا ينطق عن الهوى ﷺ فيما رواه الإمامان (البخاري ومسلم) – واللفظ (لمسلم) – في صحيحيهما قال **رَسُول اللَّهِ** ﷺ «**الحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ، أَوْ قَالَ: الحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ**»[(١)]»، كما أورد الإمام البخاري في باب الحياء قولَ النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم** «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت**[(٢)]» وكلا الحديثين يعد من عيون أحاديث كتاب الإيمان، كما أنهما من جوامع كلم النبي ﷺ؛ لأنهما ينظِّران لقيمة أخلاقية تعد رأس مكارم الأخلاق وهي قيمة (الحياء)، والتي تعني " انقباض النفس عن القبائح وتركها... [(٣)]"حذرًا عن الوقوع فيها، والحياء نوعان: " نفسي، وهو الذي خلقه الله تعالى في النفوس كلها كالحياء من كشف العورة...، وإيماني وهو ما يمنع المؤمن من فعل المعاصي خوفًا من الله تعالى... [(٤)]"، وهذا الخلق الجِبِّلي هو الذي حمل الفتاتين على الحياء والتستر في لقائهما مع موسى عليه السلام، وحتى في لقاء إحداهما به، فكل من الطرفين تحلى بهذا الخلق الفطري؛ لذا كان الجزاء والنتيجة خيرًا للطرفين مصداقًا لقول المصطفى ﷺ «**الحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ**»، وهذا القول مع وجازته

(١) صحيح مسلم (١/ ٤٧) / كتاب الإيمان / باب شعب الإيمان.
(٢) صحيح البخاري (٥/ ٢٢٦٨) باب إذا لم تستح فاصنع ما شئت.
(٣) المفردات في غريب القرآن (ص٢٧٠).
(٤) التعريفات صـــ٩٤.

في المبنى إلا أنه يحمل في طياته الكثير من المعاني الجمة، فالقول في تركيبه لا يتعدى كونه مبتدأً مؤكّدًا وخبرًا كما في رواية «**الحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ**» للدلالة على أن الحياء في مجمله وعمومه خير، وأما في رواية « الحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ» بتأكيد الخبر ففيه دلالة على أن الخير كله إنما هو في الحياء فقط دون غيره، أي أن عموم الخير مكتَنَزٌ في الحياء، فلا خير إلا في الحياء، (الحياء خير كله)، وعلى الصعيد المقابل يُحرم هذا الخير مَن لا يستحي، فمن حُرم هذا الخُلُق فقد حُرم خيرًا كثيرًا يجسده هذا الإبهام الشديد الذي أضفاه التعبير بـــ (ما) الموصولة التي" تستعمل في المبهم أمره.... [١]" في قول النبي ﷺ «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»، أي إن مما تعلمه الناس وعرفوه من شرائع الأنبياء التي اتفقوا عليها ودعَوا إليها، إذا لم يكن عندك حياء يمنعك من فعل القبيح (فافعل ما شئت)، أي افعل ما بدا لك فإنك ستعاقب عليه...[٢]، والحديث ورد بأسلوب الشرط المكون من إذا الشرطية غير الجازمة التي تختص" بالتعليق على الشرط المقطوع بوقوعه حقيقة أو حكمًا، كقولك: آتيك إذا احمرّ البُسْر...[٣]" – وليس الشرط المشكوك في وقوعه – للدلالة على الجزم القاطع بأن فاقد الحياء لا رادع يمنعه من فعل المنكرات، وفعلِها وجوابِها المقترنِ بالفاء – "وخصت الفاء بذلك لما فيها من معنى السببية[٤]"– لأنه فعل أمر على معنى الذم، أي" أنه أمر بمعنى التهديد والوعيد، والمعنى: إذا لم يكن لك حياء، فاعمل ما شئت، فإن الله يجازيك عليه، كقوله تعالى ﴿ ٱعمَلُواْ مَا شِئتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعمَلُونَ بَصِيرٌ ٤٠﴾[فُصِّلَت:٤٠] ..... وقيل إنه أمر ومعناه الخبر،

(١) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك (١/ ٢٢٣)، شرح التصريح على التوضيح (١/ ١٥٧).
(٢) ينظر / صحيح البخاري (٣/ ١٢٨٤).
(٣) شرح التسهيل لابن مالك (٤/ ٨١).
(٤) معاني النحو(٤/ ١٠٦).

والمعنى أن مَن لم يستحِ صنع ما شاء، فمن لم يكن له حياء انهمك في كل فحشاء ومنكر، وما يمتنع مِن مثله من له حياء. [1] "، ففي هذا إشعار بأن الحياء هو الرادع عن كل منكر، فإذا انخلع الحياء ارتُكب كلُّ منكر وقبيح ومحذور، وما أحسن ما رواه أبو تمام في حماسته في باب الأدب:

إذا لم تخش عاقبة الليالي ... ولم تستح فافعل ما تشاء

فلا وأبيك ما في العيش خير ... ولا الدنيا إذا ذهب الحياء[2].

والحاصل أنه إذا انتُزع الحياءُ من الإنسان تقلب في الأمور كما يشاء بلا رادع أو وازع، فالخير كل الخير في الحياء كما حدث مع موسى – عليه السلام – وابنة شعيب – عليه السلام – ويكفي الحياء رفعة ومنزلة أن أفرده النبي ﷺ واختصه بالذكر دون بقية شعب الإيمان بعد ذكر أفضل الشعب وأدنى الشعب حين قال «**الإيمانُ بِضعٌ وسِتونَ أَوْ بِضعٌ وسَبعونَ شُعبة أَفضلُها لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وأَدنَاهَا إِماطَةُ الأذَى عَن الطريق والحَياءُ شُعبةٌ مِن الإيمَان[3]**».

(١) سنن أبي داود (٧/ ١٧٦)

(٢) الأبيات من الوافر، وردت في الحماسة البصرية: ٢/ ١٠ منسوبة إلى جميل بن المعلى الفزاري، ينظر / ديوان الحماسة لأبي تمام / دار الكتب العلمية ـــ بيروت / ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م .

(٣) الأدب المفرد – بأحكام الألباني صـــ٣٠٨.

المبحث الرابع

قيمة قضاء حوائج العباد بين النص القرآني والهدي النبوي

القيمة الأخلاقية	معيار النص القرآني	معيار الهدْي النبوي
قضاء حوائج العباد	﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾[القصص:٢٤] ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾) [القصص:٢٥]	صنائع المعروف تقي مصارع السوء
الأسلوب التركيبي	- الأسلوب الأول الذي يدل على صنيعة المعروف (فسقى لهما) جاء بحرف العطف (الفاء) للدلالة على التعقيب أي الفورية في قضاء حوائج العباد. - الأسلوب الثاني الذي يدل على جزاء الصنيعة (قال لا تخف) جاء بدون حروف عطف؛ بل جاء بأداة النهي (لا) الجازمة للمضارع بالسكون وحذفت عينه لالتقاء الساكنين فصار بوزن (تفل) للدلالة على الجزم والقطع بعدم وجود الخوف، فلا مكان للخوف في مدين . - وكذلك جاء قوله (نجوت من القوم الظالمين) بلا أي مؤكدات للدلالة على أن المقام مقام تصديق ولا مجال للتشكيك؛ لذا ساق الشيخ الكبير كلامه هكذا بلا مؤكدات ليبين له أن جزاء الإحسان لا يكون إلا إحسانا، وهذا أمر بدهي وقانون إلهي لا يحتاج إلى تأكيد.	١- أسلوب خبري مكون من مبتدأ وخبر محقق الوقوع لا يحتاج إلى مؤكدات. ٢- اشتمل هذا الأسلوب على بعض المحسنات اللفظية منها: أ- مجيء المبتدأ على (فعائل)، ومفعول (تقي)على(مفاعل) وكلا الوزنين بينهما انسجام لفظي في الحركات والسكنات. ب- بين المعروف والسوء تضاد للدلالة على أن المعروف السوء لا يجتمعان، فإذا وجد المعروف فلا وجود للسوء. جـ- مجيء الفعل (تقي) بزنة (تعل) وكأن حذف الواو إنما جاء تحقيقًا للانسجام الصوتي في الكلمة؛ وذلك لئلا تقع الواو بين الفتحة والكسرة إضافة إلى التخفيف في نطق الكلمة، فالنطق بالفعل على زنة (يعل)

		أيسر وأخف منه على زنة (يفعل)، وكأن هذا التخفيف والاقتصاد الذي حدث لهذا الفعل انطبع على معنى الحديث وكأن كثرة صُنع المعروف تخفف عن فاعلها وتصونه وتحفظه من مهلكات القدر بكل يسر وسهولة بلا مصارعة أو أدنى مجاهدة يكفي أن تصنع المعروف وفقط حينئذ ستَحسُن عاقبتُك فالمكارم سببٌ لدفع المكاره.
الأداة	جاء الأسلوب القرآني بأداة العطف (الفاء).	جاء الأسلوب النبوي بدون أدوات فجاء في صورة موجزة مختصرة من مبتدأ وخبر.
دلالة الأداة	١- الدلالة على التعقيب والسرعة في قضاء حوائج العباد. ٢- رغبة في إضفاء حالة من الجزم والقطع في عدم وجود الخوف.	- ورد الكلام على هذه الصورة من الوجازة والاختصار ليكون أشبه بقانون أو قاعدة، وهذه يراعى فيها الاختصار والانسجام بين الألفاظ ليسهل حفظها.

النتائج	
نتائج النص القرآني	**نتائج الهدْي النبوي**
كان من نتائج تحلِّي سيدنا موسى - عليه السلام - بخلق قضاء حوائج العباد كما ورد في النص القرآني لهذه القيمة أنه استحق عن جدارة أن يكون أهلًا لهذا الهدْي النبوي الذي بيَّنه من لا ينطق عن الهوى حين قال ﷺ (صنائع المعروف تقي مصارع السوء) فوقاه	١- أن من أراد أن يقيه الله تعالى مصارع السوء فعليه بصنائع المعروف.

	الله سيئات الماكرين وحاق بآل فرعون سوء العذاب.
نقطة التقاء بين الأسلوبين	يلتقي كلا الأسلوبين أي القرآني والنبوي في إضفاء ملمح العموم والشمول على الصعيدين سواء على الصعيد القرآني الذي يتمثل العموم والشمول في هذا التعبير الذي ساقه الشيخ الكبير ليكون أشبه بقانون عام أو قاعدة شاملة مفادها أن المكارم سببٌ لدفع المكاره كلما فعلت معروفًا فكن على يقين وثقة في الجزاء، كما ساق الشيخ الكبير البشرى لموسى – عليه السلام – بكل ثقة وثبات ويقين فقال له بهدوء الواثق (لا تخف)، وأما على الصعيد النبوي الذي ورد فيه بناءا (فعالل، ومفاعل) للدلالة على الكثرة والعموم.

بعد إجمال هذه القيمة الأخلاقية في الجدول السابق يأتي دور عرض وتفصيل هذا فيما يأتي:

تعد قيمة قضاء حوائج العباد من أسمى القيم وأرفعها قدرا، لا سيما إذا كانت دون انتظار أجر أو مكافأة، أي كانت خالصة لوجه الله تعالى، كما فعل نبي الله موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام؛ لذا أجد نفسي أمام موقف سيدنا موسى عليه السلام مع هاتين المرأتين – بمروءته وشهامته ودون انتظار أجر منهما على ذلك، مع ما يعانيه من شدة ومحنة، فهو المطارد، الخائف، المترقِّبُ نهايته، ومع ذلك قضى لهما حاجتهما وصنع فيهما هذا المعروف دون انتظار أجر منهما، بل توجه إلى خالقه – جل وعلا – طالبًا منه العون قائلًا (رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير) – أجدني أقف أمام خُلُقٍ يستحق عن جدارة أن يكون موروثًا نبويًا دينيًا يتناقلُه أصحابُ كتب السنة إما في صورة أحاديثَ صريحةٍ في الترغيب في قضاء حوائج الناس، أو في صورة تبويب لجمْعٍ من أحاديثَ ترغب في قضاء حوائج الناس، وأولُ ما أخذ علي انتباهي قسرًا فلم أجد حيلة في الانصراف عنه ذلك العنوان الذي وضعه (الإمام الترمذي) في سننه «بَابُ مَا جَاءَ فِي صَنَائِعِ المَعْرُوفِ»، وما عنون له «الشهاب القضاعي» في مسنده «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ» ما جعلني أعدل

عن منهجي في هذا البحث ولا أقابل النص القرآني بهَدْيٍّ محمدي، وإنما بعنوان بابٍ من كتب السنة وهو (صنائع المعروف تقي مصارع السوء)؛ لأن هذه العبارة تحكي ما حدث مع سيدنا موسى صراحة، وإن كانت هناك أحاديثُ كثيرةٌ صحيحةٌ تُعلي من قيمة قضاء حوائج الناس على رأسها ما أورده الإمامان بإسناد صحيح عن رَسُول اللَّهِ ﷺ قال « كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، قَالَ: تَعْدِلُ بَيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، قَالَ: وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ [1]»، فهذا الحديث وأمثاله يحمل العديد من صور قضاء حوائج الناس، الأمر الذي يحتاج إلى بحث آخر يُتناول فيه هذه الصور بالدراسة والتحليل، ولكن هذا البحث يَدْرُسُ تركيبًا نبويًا في مقابل تركيب قرآني – على اعتبار أن السنة مكملةٌ للقرآن الكريم شارحةٌ له – إضافة إلى أني وجدت في أحدِ كتب السنة – وإن لم يكن من الكتب الصحاح – حديثًا قدسيًا ينص على هذا العنوان الذي جذب انتباهي رواه الإمام عَليٌّ بن أبي طَالب – رضي الله عنه – عَن النَّبي ﷺ عَن الرّوح الأمين جبريل– عَلَيْهِ السَّلَام – عَن الله عز وَجل قَالَ: " يَا مُحَمَّد أَكثر من صنايع الْمَعْرُوف فَإِنَّهَا تَقِيّ مصَارِع السوء، وَمَا من عمل بعد الفَرَائِض أحب إِلَى الله عز وَجل – من إِدْخَال السرُور على الْمُؤمن [2]» الأمر الذي شجعني على أخذ هذا العنوان (صنائع المعروف تقي مصارع السوء) ودراسته كتركيب للهدْي النبوي لقيمة قضاء حوائج الناس مقابل التركيب القرآني لهذه القيمة وهو قوله تعالى ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلتَ إِلَيَّ مِن خَيرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾ [القصص:٢٤]، وقوله تعالى ﴿ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيهِ ٱلقَصَصَ قَالَ لَا

(١) صحيح البخاري (٣/ ١٠٥٩)، وينظر / صحيح مسلم (٣/ ٨٣).
(٢) ثواب قضاء حوائج الإخوان صـــ٤٤.

تَخَفۡ نَجَوتَ مِنَ ٱلقَومِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥ ﴾ [القصص:٢٥]، أما عن صنيعة المعروف التي صنعها سيدنا موسى – عليه السلام – كما حكاها التعبير القرآني فتتمثل في قوله تعالى (فسقى لهما) هكذا بفاء التعقيب للدلالة على فورية فعل موسى – عليه السلام – بعد سؤال الفتاتين (ما خطبكما) وجوابهما عن هذا السؤال، فقام من فوره وسقى لهما دون اشتراط شرط أو انتظار أجر مع ما فيه من شدة وفاقة، ولكن رفعة الأخلاق وسموها أبت عليه إلا هذا الفعل وهو السقي لهما وفقط دون استغلال للظروف أو إزعاج أو مضايقة، وهو كما وصفه التعبير القرآني في قوله تعالى ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱستَوَىٰٓ ﴾ [القصص:١٤] فهو الشاب الفتي الذي بلغ أشده "وتمّ خَلْقه واستحكم[١]" ليس هذا فحسب، بل واكتملت أيضًا قواه العقلية؛ لذا " قرن بلوغ الأشد بالاستواء، وهو أن يجتمع أمره، وقوته ... وذلك ما بين ثمانٍ وعشرين سنة إلى ثلاث وثلاثين سنة....[٢]"، والأشُدُّ" مبلغ الرجل الحنكة والمعرفة [٣]"، وهذا الوصف الذي عبَّر عنه القرآن الكريم جاء للدلالة على أن سيدنا موسى – عليه السلام – قد اكتمل شبابه واشتدت قوّته، وهذا وقت" استيلاء الشهوة، وتوفر دواعي مطالبات النفس البشرية[٤]"، ولكن سيدنا موسى – عليه السلام – حجَّم شهوته وآثر مشقة الامتناع على لذة اتباع ما تطلبه نفسه، فلم يتعرض للمرأتين بسوء، كتعليق نظره بهما أو اتباعهما في السير حتى بعد علمه بحالهما من ضعف وعدم وجود سند لهما إلا شيخ كبير، وقد وصف التعبير القرآني حالة تحجيم سيدنا موسى – عليه السلام– شهوته فلم يزد على قوله(فسقى لهما) أي أنه وقف منهما سويًا نفس الموقف فلم يمل لواحدة دون الأخرى ولكنه سقى لهما، ثم أكمل التعبير القرآني الصورة أنه بعد ذلك

(١) جامع البيان للطبري (١٩/ ٥٣٥).
(٢) تهذيب اللغة (١١/ ١٨٣).
(٣) لسان العرب (٣/ ٢٣٥).
(٤) لطائف الإشارات (٢/ ١٧٧).

(تولى إلى الظل)، أي انصرف إلى الظل؛ ليقيل تحته ويستريح، وفي هذا دلالة على أنه سقى لهما في شمس وحر الظهيرة، وإنما أثر التعبير القرآني الفعل (تولى) دون غيره من المترادفات فلم يعبر بالفعل (انصرف، أو رجع أو غير ذلك) لأن الفعل (تولى) يتناسب مع فعل موسى – عليه السلام؛ حيث إنه بعد أن سقى للفتاتين أعرض عنهما وانصرف بوجهه ولم يُتْبِعْهما نظره؛ بل أقبل على الظل، وهذا حال المتولِّي؛ لأن التولية " قد تكون إقبالا، وتكون انصرافا ....[1]"، وموسى – عليه السلام أقبل عائدًا إلى الظل وانصرف عن الفتاتين، وفي هذا دلالة على عفته وشهامته؛ لأنه لم يبالِ بشأن الفتاتين ولم يتعلق بهما بعد أن قضى لهما حاجتهما، فقد أقبل على الظل بجميع جوارحه، وأعرض منصرفًا عن الفتاتين بجميع جوارحه؛ حيث جعلهما وراء ظهره حتى لا يتبعهما نظره، بل إنه أتبع هذه التولية مناجاة خالقه قائلًا ﴿ **رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** ﴿٢٤﴾[القصص:٢٤]، وإذا كانت جُلُّ كتب التفاسير[2] أجمعت على أن موسى – عليه السلام – كان يقصد من هذا الدعاء أن يرزقه الله طعامًا يسد جوعه، إلا أني وجدت تفسيرًا لهذا الدعاء راقني؛ لأنه أليق بجلال النبوة التي ترتقي عن سؤال الله تعالى أمورًا مادية؛ بل إنه مع هذه الظروف العصيبة التي يعيشها تحكي الآيات أنه "رفع وجهه إلى السماء، يحمد الله أن ساق إليه هذا الرزق الذي وجده فيما أسدى إلى هاتين الفتاتين الضعيفتين من عون، وإحسان.. وإنه لفقير إلى مثل هذه الأعمال الطيبة، ليكفر بها ما كان منه من قتل المصري..." [3]،

---

(١) تاج العروس من جواهر القاموس (٤٠/ ٢٤٩).

(٢) ينظر في ذلك / تفسير مقاتل بن سليمان (٣/ ٣٤١)، جامع البيان للطبري (١٨/ ٢١٥)، لطائف الإشارات (٣/ ٦١)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٢٨٤)، مفاتيح الغيب (٢٤/ ٥٨٩)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣/ ٢٧٠)، البحر المحيط في التفسير (٨/ ٢٩٨)، تفسير ابن كثير (٦/ ٢٠٤).

(٣) التفسير القرآني للقرآن (١٠/ ٣٣٥).

فما أُحَيْلَى هذا التفسير الذي أضفي على المعنى جلالًا ومهابة، وجعل سيدنا موسى – عليه السلام – مع حاجته وفقره لا يلتفت إلى هذا بل إنه يشكر خالقه أن أعانه على فعل الخير وصُنع المعروف الذي يرجو من الله تعالى أن يكفر له به ما اقترفه من ذنب في الآخرة، أما في الدنيا فقد أمَّنه الله تعالى على يد هذا الشيخ الكبير والد الفتاتين الذي أرسل في طلبه ليجزيه جزاء معروفه مع ابنتيه، ثم إن موسى – عليه السلام – لما ذهب إليه بعد مجيء الفتاة إليه كرسول من أبيها له مباشرة دون تردد، ولعله توسم في هذا الشيخ الكبير النصيحة والحكمة والأنس الذي يحتاجه موسى ــ عليه السلام فأخذ يقص عليه قصته، وها هو يجد من هذا الشيخ تطمينًا وتأمينًا في قوله له ﴿ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص:٢٥]، وإنما استهل الشيخ حديثه مع موسى بهذه الجملة (لا تخف) لأنه "من المعلوم أنه لا عيشة لخائف، فكان أهم ما إلى الإنسان الأمان؛ لذا قدم له التأمين بأن قال له عليه السلام (لا تخف) أي فإن فرعون لا سلطان له على ما ههنا ..." [(١)]، فجاءت جملة الشيخ الكبير هنا بمثابة تطمين وإيناس لموسى ــ عليه السلام ــ الذي ورد تطمينه في القرآن الكريم بجملة (لا تخف) خمس مرات[(٢)] أربعًا منها كان المطمئِنُ له هو الله – جل جلاله – في مقابلة فرعون يوم الزينة، والخامسة تلك التي معنا والتي يطمئنه فيها هذا الشيخ الكبير على نجاته من فرعون وقومه، وأنه" أصبح في مأمن من أن ينالَه حكمُ فرعون؛ لأن بلاد (مدين) تابعةٌ لملك الكنعانيين وهم أهل بأس ونجدة، ومعنى نهيه عن الخوف نهيه عن ظن أن تنالُه يدُ فرعون[(٣)]"، وجاءت جملة الشيخ الكبير (لا تخف) تبين مدى الثقة والثبات التي يتحلى بها هذا الشيخ الكبير في الله تعالى الذي لا يرد

(١) ينظر / نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٤/ ٢٦٨، ٢٦٩).
(٢) ينظر في ذلك [طه:٢١]،[طه:٦٨]، [النمل:١٠]، [القصص:٢٥]، [القصص:٣١].
(٣) التحرير والتنوير (٢٠/ ١٠٤).

دعاء الداعي إذا دعاه، لاسيما إذا كان الداعي موسى – عليه السلام – فقد تضمنت جملة الشيخ تطميناً لموسى – عليه السلام – بأن الله تعالى قَبِلَ دعاءَه حين ناداه وقت خروجه من مصر خائفًا يترقب قائلًا﴿ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾﴾[القصص:٢١]، فجاءت جملة الشيخ بمثابة إيناس، وتهدئة لروعه، ثم علل هذا التطمين بعدم الخوف، وأكد عليه فقال له (نجوت من القوم الظالمين) هكذا بتصديقه فيما قصَّه عليه بأنهم قوم ظالمون؛ لأنهم يأتمرون لقتله، فتراه أتبع تطمينه إياه بهذا التعليل لأنه ليس لفرعون سلطان بأرض مدين؛ حيث إنه " كان بين مصر ومدين ثماني ليال نحو ما بين الكوفة والبصرة "[(١)] فهو في مأمن من هؤلاء القوم؛ لذا جاء التعبير بالفعل (نجوت) الذي يدل على أصلين" الأول كشط وكشف، والآخر على ستر وإخفاء..." [(٢)] أما الأصل الأول فإن موسى ــ عليه السلام ـــ لما نجا من فرعون وقومه فقد انكشط وانكشف عنهم وتخلص منهم وسلِم من شرهم، وأما الأصل الآخر فإنه ــ عليه السلام ـــ لما ترك مصر وأهلها وتوجه إلى مدين فقد تستر واختفى عن أنظارهم وأصبح كأنه في أرض نجوة [(٣)] أي في أرض فيها نجاته وخلاصه، وعليه فإن النجاء " الخلاص من الشيء" [(٤)] فكأن موسى – عليه السلام – لما نجا من فرعون وملائه أصبح في نجوة منهم بذهابه عنهم وعن أذاهم وظلمهم؛ ولهذا آثر التعبير القرآني الفعل (نجوت) دون غيره فلم يقل مثلا (تخلصت أو غير ذلك)؛ لأن النجاة " لا تكون إلا من أذى ولا يقال لمن لا خوف عليه نجا لأنه لا يكون ناجيا إلا مما

(١) إيجاز البيان عن معاني القرآن (٢/ ٦٤٢).
(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٣٩٧، ٣٩٨).
(٣) والنجوة من الأرض هي التي لا يعلوها سيل ينظر / مقاييس اللغة (٥/ ٣٩٧)، المحكم والمحيط الأعظم (٧/ ٥٥٧).
(٤) لسان العرب (١٥/ ٣٠٤).

يخاف..."[١]، فالتخلص والنجاة يكونان من تعقيد وتختص النجاة بأنها تكون مما يُخاف منه؛ لذا طمأنه الشيخ بقوله (لا تخف) ثم علل ذلك بقوله له (نجوت من القوم الظالمين).

وأما عن الهدْي النبوي فقد جاء متفقًا مع النص القرآني لهذه القيمة، والمتأمل في هذا الهدْي النبوي يرى هذا التناغم بين المفردتين (صنائع، مصارع) وهذا التناغم ناجم عن التقارب في الميزان الصرفي، فالأولى على مثال (فعائل) والثانية على مثال(مفاعل)، وكلا الوزنين من جموع الكثرة[٢]، أما عن بناء (فعائل) فهو جمع "لكل رباعي بمدة قبل آخره، مؤنثًا بالتاء نحو: سحابة وسحائب، ورسالة ورسائل، وصحيفة وصحائف.."[٣]، وبناء(فعيلة)"جمْعُهُ القليلُ بالألفِ والتَّاءِ، وفي الكثيرِ على فعائِلَ، نحو صحيفةٍ وصحائفَ، وكتيبةٍ وكتائِبَ، وسفينةٍ وسفائنَ، وهذا كثيرٌ جدًّا" [٤]، أي أنك إذا أردت العدد القليل جمعته بالألف والتاء وإذا أردت العدد الكثير جمعته على فعائل، وفي هذا دلالة على أن لفظة(صنائع) في الهدْي النبوي تشير إلى كثرة هذه الصنائع فلا يكتفى بصنيعة أو اثنتين للوقاية من مصارع السوء؛ بل إنها صنائعُ غيرُ محدودة بدلالة بناء الكثرة، وكما أن الجزاء من جنس العمل كانت الوقاية من مصارع السوء هكذا ببناء (مفاعل)، هذا البناء العام في التكثير فليس" شيءٌ عِدَّتُه أربعة أو خمسة يكسر بعِدتِه يخرج من مثال مفاعل ومفاعيل نحو: مسجد ومساجد...." [٥]، مما

(١) معجم الفروق اللغوية صـــ١٢٠.
(٢) شرح المفصل لابن يعيش (٣/ ٢٨٢)، نتائج الفكر في النحو صـــ ٢٥١، ألفية ابن مالك صـــ٣٥٠.
(٣) شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك صـــ٥٥٥.
(٤) التكملة للفارسي صـــ٤٥٢.
(٥) الكتاب لسيبويه (٤/ ٢٥٤)، شرح كتاب سيبويه (٥/ ١٦٥).

يدل على عدم محدودية هذا البناء وشموليته، وعند افتراض أن هذا التركيب النبوي بمثابة أسلوب شرط مفاده (إذا أردت أن تتقيَ مصارع السوء فعليك بصنائع المعروف) يتضح أن معمولي الشرط والجزاء (صنائع، مصارع) جاءا على هذا البناء للدلالة على الشمول والعموم، يضاف إلى ذلك أن كلا البناءين ممنوع من الصرف، فالقياس أن" ما جاء من الجمع على مثال مفاعل، ومفاعيل؛ نحو: مصاحف، ومحاريب، وما كان على هذا الوزن، نحو: فعالل، وفواعل، وأفاعل، وأفاعيل وكل ما كان مما لم نذكره على سكون هذا وحركته وعدده، فغير منصرف في معرفة ولا نكرة..." [١]، وسبب منعهما من الصرف كونهما على صيغة منتهى الجموع وفي هذا دلالة كافية على العموم والشمول، فالبناءان بوزنهما يدلان على العموم والشمول والتناهي في الفعل، كما حدث مع سيدنا موسى – عليه السلام – الذي صار صنعُ المعروف دأبًا له وديدناً؛ لذا كان جزاؤه أن وقاه الله مصارع السوء أكثر من مرة منها تلك التي بين يدي البحث والمتمثلة في تطمين الشيخ الكبير له وإيناسه بكل ثقة وثبات لم يلبث أن هدَأ روعُه، وذهب خوفُه وفزعُه، فما جزاء الإحسان إلا الإحسان، يضاف إلى ذلك التعبير بالفعل (تقي) الذي أصله (توقي)، يقال "وقاه الله وقيا ووقاية وواقية: صانه..."[٢]، أي أن صنائع المعروف تصون وتحفظ من مهلكات السوء، وهذا الفعل يعد من اللفيف، وهو كل كلمة اجتمع فيها حرفا عِلَّةٍ، وهو نوعان: المقرون منه: ما اعتلَّ عينُهُ ولامُهُ، كـ (قَوِيَ)، والمفروق منه: ما اعتلَّ فاؤُهُ ولامُهُ كـ (وَعَى) ..."[٣] أي أن أصل الفعل (يقي) (يَوقِي) فحذفت الواو (فاء

(١) المقتضب (٣/ ٣٢٧).
(٢) لسان العرب (١٥/ ٤٠١) .
(٣) المفتاح في الصرف صـ ٤٢، ٤٣.

الفعل) " لوقوعها بين ياء وكسرة..." [١] وكأن حذف الواو إنما جاء تحقيقًا للانسجام الصوتي في الكلمة؛ وذلك لئلا تقع الواو بين الياء والكسرة إضافة إلى التخفيف في نطق الكلمة، فالنطق بالفعل على زنة (يعل) أيسر وأخف منه على زنة (يفعل)، وكأن هذا التخفيف والاقتصاد الذي حدث لهذا الفعل انطبع على معنى الحديث وكأن كثرة صُنع المعروف تخفف عن فاعلها وتصونه وتحفظه من مهلكات القدر بكل يسر وسهولة بلا مصارعة أو أدنى مجاهدة يكفي أن تصنع المعروف وفقط حينئذ ستَحسُن عاقبتُك فالمكارم سببٌ لدفع المكاره، والمعروف "اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله تعالى والتقرب إليه والإحسان إلى الناس وكل ما ندب إليه الشرع من المحسنات ونهى عنه من المقبحات"[٢] كما فعل سيدنا موسى الذي أحسن إلى المرأتين دون انتظار أجر منهما بل جاءه الأجر تطمينًا، وإيناسًا، وكرمَ ضيافة، واستقرارًا وعملًا وكأن كل هذا مكافأة له فمن كَثُرَ خيرُه حسُنت عاقبته.

(١) أبنية الأسماء والأفعال والمصادر صـــ٩٧.

(٢) فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب (٥/ ٤١٦).

المبحث الخامس
قيمة الانسجام والتوافق بين الدين والخلق
بين النص القرآني والهدي النبوي

القيمة الأخلاقية	معيار النص القرآني	معيار الهدْي النبوي
الانسجام والتوافق الديني والخلقي	﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾[القصص:٢٧]	«إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ؟ قَالَ: إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ – ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[1]»
الأسلوب التركيبي	– جملة قول مكونة من فعل القول + جملة مقول القول . – جاء التعبير بالفعل (أريد)؛ لما فيه من معنى (الحُكْم) والأمر، كقولك: أريد منك أن تفعل كذا، أي آمرك، وكأن التعبير بهذا الفعل ساهم في الحفاظ على عزة شعيب – عليه السلام – وكرامة ابنتيه؛ فهو يؤدي معنى طلب الشيء في عزة وكرامة لا في ذلة ومهانة، فهو طلبٌ مشوبٌ بمعنى الأمر والحكم مراعاة لحال موسى – عليه السلام – وما فيه من ضعف، ومطاردة، وإعواز، وحال شعيب – عليه السلام – وما فيه من عزة ومنعة في قومه. – استخدم شعيب في مقولته حرف الجر(على) الذي يعد من صيغ الشرط	– أسلوب شرط مكون من أداة الشرط (إذا) + فعل الشرط (جاءكم مَن ترضون دينه)+ جواب الشرط المقترن بالفاء(فأنكحوه) . – التعبير بالموصول الاسمي العام (مَن) إشارةٌ إلى أن حسن الدين والخلق جِماعُ كل خير. – الموصول المشترك (مَن) وإن لم يكن مُعَرَّفًا (بأل) مثل الموصول الخاص (الذي) إلا أنه اكتسب تعريفه بما بعده من صلة، أي أن هذا الجائي وإن كان منَكَّرًا غيرَ معروف إلا أن حسن دينه وخُلُقه تكفَّلا تعريفه للناس. – ورد التعبير بالفعل (ترضَون)، وحقيقة الرضا "ابتهاج القلب

(١) سنن الترمذي (٢/ ٣٨١).

	في العقود أي على أن تكون أجيرًا عندي على جهة الإلزام والوجوب، والمعنى أنكحك إحدى ابنتي ويكون مشروطًا عليك أو واجبًا، ولعل شعيبًا عليه السلام جعل ضمير الإجارة مسندًا لنفسه من باب طمعه في الاستئثار بشيء من موسى عليه السلام فإذا كانت ابنته ستستأثر به زوجًا لها، فعلى شعيب أن يستأثر به راعيًا له. – إذا كان معيار الكثرة العددية عند العرب يؤديه العدد (سبعة) بمعنى أن أقصى الجمع عندهم كان العدد (سبعة) فإن شعيبًا ــ عليه السلام ــ باختياره العدد (ثمانية) وهو "يزيد على العدد الموضوع للمبالغة – وهو السبع – بواحدة إشارة إلى أنه أبلغ من عِدَةِ المبالغة، وكأن إيثار هذا العدد تحديدًا إشارةٌ إلى رغبة شعيب – عليه السلام – في مكث موسى – عليه السلام – عنده أطول مدة ممكنة؛ ولهذا عطف عليه على جهة التعقيب بقوله (فإن أتممت عشرًا) هذا العطف الذي كشف عن نوايا شعيب – عليه السلام – أنه ما يريد من موسى – عليه السلام – إلا أن يمكث عنده أطول فترة زمنية ممكنة، وما هذا إلا لما لمسه فيه من خصال حميدة يتمناها كل أب لابنته	وسروره ..."، وهو نقيض السَّخَط، وإذا كان السخط لا يكون إلا من الكبير على الصغير فكذلك نقيضه وهو الرضا لا يكون إلا من الكبير مقامًا أو عُمُرًا وهو الولي، وكأن عُلُوَّ مقامه أو كِبَرَ عمُره كشفا له حقيقةَ معدِن هذا الجائي (الخاطب) فلم ينظر إلى جاه، أو حسب، أو نسب بل رضِي منه حسن الدين والخلق، وكفى بهما.
الأداة	جاء الأسلوب القرآني مُصَدَّرًا بإن التوكيدية المضافة إلى ياء التكلم .	جاء الأسلوب النبوي مصدرًا بأداة الشرط (إذا) التي تدل على تحقق وقوع الشيء وتيقنه.
دلالة الأداة	للتأكيد على رغبته هو؛ حفاظًا على	جاء التعبير بـــ (إذا) الشرطية غير

	حياء ابنته، وكأنه يقول: إن هذا الطلب نابع من نفسي أنا. وفي هذا لمسة حانية بارعة من هذا الشيخ الكبير على ابنته الذي لم يرَ حرجًا في أن يتخير لابنته الرجل الذي تتمناه زوجًا لها، ويردها حياؤها عن أن تعرض نفسها عليه.	الجازمة التي تختص "بالتعليق على الشرط المقطوع بوقوعه حقيقة أو حكمًا وليس الشرط المشكوك في وقوعه"؛ للدلالة على الجزم القاطع بوجوب إنكاح صاحب الدين والخلق إذا جاء خاطبًا..

النتائج

نتائج النص القرآني	نتائج الهدْي النبوي
كان من نتائج تحلِّي سيدنا موسى – عليه السلام – بخلق التوافق والانسجام بين الدين والخلق كما ورد في النص القرآني لهذه القيمة أنه استحق عن جدارة أن يكون أهلًا لهذا الهدْي النبوي الذي بيَّنه من لا ينطق عن الهوى حين قال ﷺ (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه) فنجاه الله من الغم وألقى عليه محبة منه، ولبث سنين في أهل مدين، وكانت تلك السنون إعدادًا روحيًا له؛ حتى يؤهل لحمل الرسالة السماوية التي تنتظره.	– وجوب إنكاح صاحب الدين والخلق بما يوحيه الفعل (فأنكحوه) على جهة الإلزام والحق وكأن المعنى: حق صاحب الدين والخلق الإنكاح. – التأكيد على أن الإخلال بهذا الحق يتسبب في فتنة في الأرض وفساد كبير.
نقطة التقاء بين الأسلوبين	يلتقي كلا الأسلوبين أي القرآني، والنبوي في إضفاء ملمح الكفاءة والأهلية على صاحب الدين والخلق ويتضح ذلك في إيثار التعبير بالفعل (جاء) في النص القرآني (فلما جاءه وقص عليه القصص) وفي الهدْي النبوي (إذا جاءكم)؛ لما فيه من معنى (الحصول) أي أن المجيء قد حصل بالفعل، سواء قصد الجائي شيئًا بعينه أم لا، يكفي مجيؤه، فإذا جاء فهو أهل للإنكاح، دون النظر إلى اعتبارات أخرى. – يضاف إلى ذلك التقاء الأسلوبين في التعبير بالإنكاح (فأنكحوه)، و(أنكحك) دون الفعل (أزوجك)؛ لأن أصل النكاح للعقد، ثم استعير للجماع، وكأن هذا الفعل يضفي على المعنى ملمح الجدية في الأمر، فيكون المشهد بجميع أركانه حاضرًا في الذهن: الخاطب، والمخطوبة، والولي، وأهم ألفاظ العقد (أنكحك) الذي يضفي على المعنى الجدية في الأمر، وهذا الأمر لا يوجد في لفظ (أزوجك) الذي لا يتعدى معنى (الإقران)، فالفعل (أنكحك) أولى وأليق بالمقام من (أزوجك).	

ها قد وصل المطاف بسيدنا موسى – عليه السلام – إلى مرحلة المكافأة والجائزة على حسن الخلق والدين، وذلك أنه بعد أن ذهبت إليه سفير أبيها بدعوة منه ليجزيه ويكافئه على حسن صنيعته معهما جاءه موسى – عليه السلام – وقصَّ عليه جميع الأحداث التي مرَّ بها فطمأنه الشيخ الكبير وكانت هذه الطمأنة بمثابة مكافأة معنوية، ثم جاء دور المكافأة الحسية التي تمثلت في قول الشيخ الكبير لموسى – عليه السلام – (إني أريد) هكذا بتبديل الأوضاع، فموسى – عليه السلام – مع شدة حاجته وإعوازه يُعرَض عليه من شيخ كبير – له مكانته في قومه – الزواجُ بإحدى ابنتيه يختار أيهما شاء دون فرض، أو جبر، أو تعيين واحدة بعينها ربما لا يكون هواه معها؛ بل إنه ترك له الخيار، وفي هذا حكمة بالغة من هذا الأب؛ حيث إنه لمس في موسى ــ عليه السلام أخلاق النبوة وشمائلها فكان حريصًا على مصاهرته أشد الحرص، فتراه خرَق الأعرافَ والتقاليد وطلب منه أن يزوجه إحدى ابنتيه، وابتدأ طلبه بقوله (إني أريد) هكذا بحرف التوكيد (إن) مضافًا إلى ضمير التكلم للدلالة على أن هذه الرغبة نابعة من نفسه هو – وإن كانت هذه الرغبة صادفت هوًى في نفس ابنته التي طلبت استئجاره من قبل – وفي هذا لمسة حانية بارعة من هذا الشيخ الكبير على ابنته الذي لم يرَ حرجًا في " أن يتخير لابنته الرجل الذي تتمناه زوجًا لها، ويردها حياؤها عن أن تعرض نفسها عليه، وما كان أبرع شعيبا وأحكمه، وأعدله، فيما بينه وبين موسى من جهة، ثم فيما بينه وبين ابنته من جهة أخرى..."[١] يتجلى هذا في مقولة شعيب – عليه السلام – (إني أريد أن أنكحك) المصدرة بإن التوكيدية المضافة إلى ياء التكلم؛ للتأكيد على رغبته هو؛ حفاظًا على حياء ابنته، أي أن هذا الطلب نابع من نفسي أنا، ثم أتبع ذلك بالفعل (أريد) وإنما آثر التعبير القرآني هذا الفعل دون غيره من مترادفات فلم يعبر بـــ (أرغب، أو أحب، أو أتمنى ...) أو غير ذلك؛ لما في هذا الفعل من معان لم تتوفر في غيره، فالإرادة

(١) التفسير القرآني للقرآن (١٠/ ٣٣٧).

في الأصل " قوة مركبة من شهوة، وحاجة، وخاطر، وأمل، وجُعلت اسما لنزوع النفس إلى الشيء مع الحكم فيه بأنه ينبغي أن يُفعل، أو لا يُفعل..." (١)، أي أنها ميل نفسي محض؛ لذا قيل إن " أصلها الواو، ألا ترى أنك تقول: راوَدْتُه أي أردْتُه على أن يفعَلَ كذا" (٢)، وسعيت في طلب هذا الشيء منه، أي أنها منقولة من راد يرود، وهي ميل اختياري لا جِبِلِّي، متى حصلت صَدَرَ الفعل لا محالة(٣)، فشعيب – عليه السلام – اشتهت نفسه، ونزعت، وتمنت، ورغبت في حدوث هذا الأمر وسَعَت نفسُه إليه فترجم كل هذا بمقولته (إني أريد)؛ لما في هذا الفعل من ملمحٍ تنبَّه إليه (الراغب) في مفرداته وهو دلالة هذا الفعل على معنى (الحُكْم) أي: الأمر، كقولك" أريد منك كذا، أي: آمرك بكذا، نحو قوله تعالى ﴿ **يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ** ﴾[البقرة:١٨٥] أي يأمركم باليسر، كما أن من معاني الإرادة (القصد) نحو قوله تعالى ﴿**تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا**﴾[القصص:٨٣] أي: لا يقصدونه ولا يطلبونه" (٤)، وكأن التعبير بهذا الفعل ساهم في الحفاظ على عزة شعيب – عليه السلام – وكرامة ابنتيه؛ فهو يؤدي معنى طلب الشيء في عزة وكرامة لا في ذلة ومهانة، فهو طلبٌ مشوبٌ بمعنى الأمر والحكم مراعاة لحال موسى – عليه السلام – وما فيه من ضعف، ومطاردة، وإعواز، وحال شعيب – عليه السلام – وما فيه من عزة ومنعة في قومه، ثم إن شعيبًا – عليه السلام – أتبع إرادته هذه بقوله (أن أنكحك) بالتعبير بأن المصدرية مع المضارع والتقدير (إني أريد إنكاحك)، وكأن في إيثار التعبير القرآني (أن والفعل) على المصدر الصريح (إنكاحك) فيه إشارة إلى تلك المهلة التي سيعطيها له ليختار

(١) الكليات صـــ٧٤.
(٢) المفردات في غريب القرآن صـــ٣٧١.
(٣) ينظر/ معجم الفروق اللغوية صـــ٣٦.
(٤) المفردات في غريب القرآن صـــ٣٧١.

بين البنتين، إضافة إلى إمهاله سداد مهرها الذي شرطه عليه بقوله (على أن تأجرني ثماني حجج)، والحاصل أن شعيبًا – عليه السلام لم يكن في مقام إبرام عقد النكاح وتنفيذه في الحال؛ بل إن ذلك كان بمثابة عرض يعرضه على موسى – عليه السلام،؛ ولهذا قال (الزمخشري)" لم يكن ذلك عقدًا للنكاح، ولكن مواعدة ومواصفة أمر قد عزم عليه، ولو كان عقدًا لقال: قد أنكحتك ولم يقل: إني أريد أن أنكحك " [١]، يؤيد هذا أن شعيبًا – عليه السلام لم يُعيِّن واحدة بعينها من البنتين بل ساق كلامه دون تعيين المعقود عليها وعليه جاء قوله "حكايةَ عزمٍ، وتقريرَ وعدٍ، ولو كان عقدًا لقال أنكحتك ابنتي فلانة.." [٢] بتعيينها وذكر اسمها، أمَا وإنه لم يُعيِّن ينصرف القولُ على المواعدة والعزم، يضاف إلى ذلك أن التعبير بـــ(أن والفعل) يَصرفُ القولَ إلى المستقبل الزمني؛ لأن (أنْ)" لا تقع مع الفعل حالًا؛ لأنها لما لا يقع في الحال ولكن لما يُستقبل..."[٣]، أي أن دخول(أن)على المضارع أضفى على المعنى ملمح الاستقبال الزمني، فهي" لا تقتضي غير ذلك إذا وقع بعدها المضارع، فلو جاؤوا مكانها بالمصدر الصريح الذي هي في معناه لم يتحقق فيه معنى الاستقبال؛ لأن زمن المصدر مبهم غير معين " [٤] أي أن شعيبًا – عليه السلام – يريد أن يُنكح موسى – عليه السلام – إحدى ابنتيه في مقابل استئجاره ثماني حجج مُقبِلةً للرعي، ومن المفسرين من قال بأن شعيبًا "علق الإنكاح بالرعية على معنى: إني أفعل هذا إذا فعلت ذاك على وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة، ويجوز أن يستأجره للرعي ثماني سنين بمبلغ معلوم ويوفيه إياه، ثم ينكحه ابنته به..." [٥]، أي أن الإنكاح لم يتم

(١) الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٠٤) وينظر / تفسير النسفي (٢/ ٦٣٨).
(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري (٥/ ٣٣٩).
(٣) المقتضب (٢/ ٣٠).
(٤) المرتجل في شرح الجمل لابن الخشاب صـــ١٢٩.
(٥) الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٠٥).

إلا بعد توفية الأجل المطلوب، كل هذا يعزز جانب شعيب – عليه السلام – وابنته، فإذا كان قد عرض على موسى – عليه السلام – الزواج بابنته إلا أنه كفل لها حقها وكرامتها " وهكذا يعلم موسى – عليه السلام – أن شعيبًا –عليه السلام – لا يُلقي بابنته هكذا دون مهر.." [(١)]، يضاف إلى ذلك إيثار التعبير القرآني الفعل (أنكحك) في هذا المقام دون الفعل (أزوجك)؛ لأن أصل النكاح "للعقد[(٢)]، ثم استعير للجماع[(٣)]"، وكأن الشيخ الكبير أراد أن يُصبِغ حديثه بصبغة جادة توافق المقام والحدث فيكون المشهد بجميع أركانه حاضرًا في الذهن: الخاطب، والمخطوبة، والولي، وأهم ألفاظ العقد (أنكحك) الذي يضفي على المعنى الجدية في الأمر، وهذا الأمر لا يوجد في لفظ (أزوجك) الذي لا يتعدى معنى (الإقران)، فالزوج" خلاف الفَرد"[(٤)]، وهو يطلق على أشياء كثيرة يقترن فيها المثلان، يقال" لفُلانٍ زوجان من الحمام، أي: ذكر وأنثى قال سبحانه ﴿**حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلّٖ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ**﴾ [هود:٤٠] ، زوجٌ من الثِّياب، أي: لونٌ منها، قال عزّ وجلّ (**وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلّٖ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٥**﴾ [الحج:٥]، أي: لون"[(٥)]، فهذا الأصل اللغوي (ز و ج) يدل على "مقارنة شيء لشيء"[(٦)] دون اختصاصه

---

(١) تفسير الشعراوي (١١/ ٦٦٥٣).

(٢) كقوله تعالى ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ**﴾ [الأحزاب:٤٩].

(٣) كقوله تعالى ﴿**ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَو مُشۡرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞ**﴾ [النور:٣] ، وقوله تعالى ﴿**فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥ**﴾ [البقرة:٢٣٠] ينظر / المفردات في غريب القرآن صـــ٨٢٣.

(٤) تاج اللغة وصحاح العربية (١/ ٣٢٠).

(٥) العين ٦ / ١٦٦.

(٦) مقاييس اللغة (٣/ ٣٥).

بالنكاح، فكل شيء قُرن بمثله صار زوجًا له، أما النكاح فيراد منه " الضم والجمع، وهو عقد يرِدُ على تمليك منفعة البُضع قصدًا"(١)، وقد جاء ذكر النكاح في القرآن للعقد وجاء للوطء؛ لذا كان الفعل (أنكحك) أولى وأليق بالمقام من (أزوجك)، ثم واصل شعيبٌ – عليه السلام – بنود الاتفاق مع موسى – عليه السلام – فقال له (على أن تأجرني ثماني حجج)، أي على" أن تكون أجيرًا لي أستعملك فيما ينوبني من رعية الغنم وغيرها"(٢)، فيا عِظَم هذا المهر! لرفعة قدر صاحبته سليلة بيت النبوة التي استحقت عن جدارة أنَّ نبيًا من أنبياء الله تعالى يؤجِّرُ نفسه حججًا مسماة؛ مهرًا لبُضعها، فأيُّ مهر أعظمُ من هذا ؟ وأي تكريم يفوق هذا؟ وما أرى هذا إلا حكمة بالغة من شعيب – عليه السلام – الذي انتقى لابنته الرجل الصالح ــ الذي يتمناه أي أب لابنته – ثم عرض عليه إنكاحه واحدة من بناته في عزة وكرامة دون تفريط في حقها؛ حيث إنه استخدم في مقولته حرف الجر(على) الذي يعد "من صيغ الشرط في العقود"(٣) أي على أن تكون أجيرًا عندي على جهة الإلزام والوجوب، والمعنى أنكحك إحدى ابنتي ويكون " مشروطًا عليك أو واجبًا أو نحو ذلك..." (٤)، وشعيبٌ – عليه السلام – بهذا لم يكلف موسى – عليه السلام – فوق طاقته مهرًا لابنته؛ بل إنه كفل لها حقها على أتم وجه دون إجحاف بالخاطب فقد كلَّفه مهرًا في متناول يده، ويُعدُّ كل ما يملكه في هذا الوقت وهو قوته وأمانته التي رغبت فيهما ابنة شعيب – عليه السلام آنفًا، فموسى – عليه السلام – في هذا الوقت كان قد بلغ أشده واستوى، وأوتي الحُكْم، والعلم وهذه صفات المحسنين التي يرغب فيها كل إنسان، لا سيما إذا كان هذا الإنسان على شاكلته في الصلاح والتقوى –

---

(١) التعريفات صـــ٢٤٦.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٤/ ٢٧٠).

(٣) التحرير والتنوير (٢٠/ ١٠٦).

(٤) إعراب القرآن وبيانه (٧/ ٣٠٧)، وينظر روح المعاني للألوسي (١٠/ ٢٧٦).

والطيور على أشكالها تقع ــ فاغتنم الشيخ الكبير هذا الفتى الصالح وظفر به زوجًا لابنته زواجًا مشروطًا بخدمة موسى – عليه السلام شعيبًا – عليه السلام – ثماني حجج، والملاحظ أن شعيبًا – عليه السلام قال (تأجرني) ولم يقل (تأجرها) أي تعمل أجيرًا عندي لا عندها مع أن الصداق من حق الزوجة لا الولي مصداقًا لقول الله تعالى ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗۚ﴾ [النساء:٤] للدلالة على أن هذا شرطٌ لإتمام النكاح، فظاهر الآية " أن الإجارة المذكورة جُعلت مهرا للبنت، ويحتمل أن المشروط التزام الإجارة لا غير، وأما المهر فتابع لما يعتبر في شرعهم ركنا في النكاح، والشرائع قد تختلف في معاني الماهيات الشرعية، وإذا أخذنا بظاهر الآية كانت دالة على أنهما جعلا المهر منافع إجارة الزوج لشعيب فيحتمل أن يكون ذلك برضاها لأنها سمعت وسكتت بناء على عوائد مرعية عندهم بأن ينتفع بتلك المنافع أبوها، فإن منافع الإجارة ذات قيمة فلا مانع من أن تجعل مهرا[١]، وقال (الإمام الشافعي) " الصداق ثمن من الأثمان، فكل ما يصلح أن يكون ثمنًا صَلح أن يكون صداقًا"[٢]، وعليه فإنه يصلح للناكح أن يؤجر نفسه عند ولي المنكوحة ليتملك بُضعها، ولعل شعيبًا – عليه السلام – جعل ضمير الإجارة مسندًا لنفسه من باب طمعه في الاستئثار بشيء من موسى – عليه السلام – فإذا كانت ابنته ستستأثر به زوجًا لها، فعلى شعيب أن يستأثر به راعيًا له، يؤيد هذا تلك المدة المشروطة التي اشترطها شعيب على موسى (ثماني حجج) ثم عطف فقال (فإن أتممت عشرًا فمن عندك)، والعدد (ثمانية) ذكر في القرآن الكريم خمس مرات[٣]، وسياقات آيات وروده غير هذا الموضع الذي في قصة موسى وشعيب – عليها السلام – تتحدث عن

(١) التحرير والتنوير (٢٠/ ١٠٧).

(٢) تفسير الإمام الشافعي (٣/ ١١٦٨).

(٣) [الأنعام:١٤٣]، [القصص:٢٧]، [الزُّمَر:٦]، [الحاقة:٧]، [الحاقة:١٧]، وورد العدد ثمانون في سورة [النور:٤]

معنى الاقتران والدلالة على الزوجية بين الأشياء بداية من قوله تعالى ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَمِنَ ٱلۡمَعۡزِ ٱثۡنَيۡنِۗ﴾ [الأنعام:١٤٣] مرورًا بقوله تعالى ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَاجٖۚ﴾ [الزُّمَر:٦]، وقوله تعالى ﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۚ﴾ [الحاقة:٧]، وانتهاءً بقول الله تعالى ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧﴾[الحاقة:١٧]، أما عن موضعي سورتي (الأنعام، والزمر) فالحديث فيهما واضح عن تقسيم الأنعام إلى أربعة أصناف؛ لذا جاء المعدود لفظة (أزواج) وهي "جمع زوج، والزوج اسم لذات منضمة إلى غيرها على وجه الملازمة"(١)، أي أنها اسم لما ينضم إلى فرد فيصير زوجا له، وأما عن آية سورة (الحاقة) فقد جاء العدد ثمانية مع الأيام للدلالة على الزوجية في الأيام، والوتر والإفراد في الليالي؛ لأن الزوج هو واحد من اثنين متصلين، وفي هذا "إشارة إلى أن الأيام تسبق الليالي، وأن النهار يسبق الليل..."(٢)، أي أن الأيام الثمانية اقترن كل نهار فيها مع ليله، أما الليالي السبع فتبقَّت ليلةٌ دون أن تقترن بنهارها، فنهارُها كان بدايةَ رؤيتهم العذاب عارضًا مستقبِلَ أوديتهم، ثم ما لبث أن سُخِّر عليهم بعد هذا النهار سبع ليال أُخر، فإذا ضُمَّ نهارُ يوم العذاب مع الليالي السبع تحصل ثمانية أيام؛ ولهذا وُصفت هذه الريح بأنها (حُسُوم) أي "يتابع بعضُها بعضًا بلا فصل بينها..."(٣)، والمتابعة تقتضي الاقتران والمزاوجة، وأما عن آية (حمَلةِ العرش) في سورة (الحاقة) فإن هذه المسألة وإن كانت من الغيبيات التي أُمِرنا بتصديقها دون الخوض في تفاصيلها، إلا أنه يمكن أن تُلحق أيضًا بفكرة الاقتران والمزاوجة؛ حيث إن الشيء المحمول كلما عظُم

(١) التحرير والتنوير (٨-أ/ ١٢٨).
(٢) التفسير القرآني للقرآن (١٥/ ١١٢٧).
(٣) التحرير والتنوير (٢٩/ ١١٧).

احتاج إلى عدد لحمله، ولا أعظم من عرش ربك، فإذا كانت أحوال ملوك الدنيا تنبئ عروشُهم بمظاهر العظمة والكبرياء والعزة، فكيف بحال عرش ملك الملوك ؟ فهذه الآية بنصها توجب أن لله تعالى عرشًا يحمله يوم القيامة ثمانية، "إما ثمانية صفوف، أو ثمانية أملاك، أو ثمانية أصناف، وحمْلُه على ثمانية أشخاص أولى؛ لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «هم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أيَّدهم الله بأربعة آخرين فيكونون ثمانية»[(١)]، وتأييد الأربعة بأربعة مثلهم يقتضي الاقتران والمزاوجة بينهم، وإذا كان معيار الكثرة العددية عند العرب يؤديه العدد (سبعة) بمعنى أن أقصى الجمع عندهم كان العدد (سبعة) فإن شعيبًا ــ عليه السلام ــ باختياره العدد (ثمانية) وهو "يزيد على العدد الموضوع للمبالغة – وهو السبع – بواحدة إشارة إلى أنه أبلغ من عِدَةِ المبالغة ..." [(٢)]، وكأن إيثار هذا العدد تحديدًا إشارةٌ إلى رغبة شعيب ــ عليه السلام ــ في مكث موسى ــ عليه السلام ــ عنده أطول مدة ممكنة؛ ولهذا جاء المعدود لفظة (حجج) دون غيرها كـ (سنين، أو أعوام ...)، وإنما آثر شعيب الحِجَّة على السنة أو العام؛ لأنها مشتقة من اسم الحج؛ "وموسم الحج يقع في آخر شهر من السنة العربية..." [(٣)]، أي أن شعيبًا ــ عليه السلام يريد من موسى ــ عليه السلام ــ قضاء المدة كاملة إلى آخر شهر فيها، وإن كان في قرارة نفسه يبغي أكثر من ذلك، يؤيد هذا عطفه على جهة التعقيب بقوله (فإن أتممت عشرًا) هذا العطف الذي كشف عن نوايا شعيب – عليه السلام – أنه ما يريد من موسى – عليه السلام – إلا أن يمكث عنده أطول فترة زمنية ممكنة، وما هذا إلا لما لمسه فيه من خصال حميدة يتمناها كل أب لابنته، هذا عن الأسلوب التركيبي للنص القرآني لقيمة الانسجام الديني والخُلُقي والتي قام بأدائها سيدنا شعيب – عليه

(١) مفاتيح الغيب للرازي (٣٠/ ٦٢٦)، وينظر: العرش وما روي فيه صـــ١٠١.
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢٠/ ٣٥٦).
(٣) التحرير والتنوير (٢٠/ ١٠٧).

السلام – بحكمته ورزانته، وسيدنا موسى – عليه السلام – بدينه وخلقه، أما عن الأسلوب التركيبي للهدي النبوي الي بيَّنه الحبيب المصطفى ﷺ فيتمثل في قولهﷺ «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ؟ قَالَ: إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ – ثَلَاثَ مَرَّاتٍ »[(١)]، والمتأمل في هذا الهدْي النبوي الشريف يلحظ اشتراكه مع النص القرآني في أهم حدثين، أما الأول فهو حدث المجيء؛ حيث عبر النص القرآني بقوله (فلما جاءه وقص علي القصص)، ووافقه الهدْي النبوي فقال (إذا جاءكم) هكذا بإيثار فعل (المجيء) على غيره كـــ(الإتيان، أو الحضور،...)، وأما الحدث الثاني وهو حدث (الإنكاح) حيث عبر النص القرآني بقوله (إني أريد أن أنكحك) ووافقه الهدْي النبوي فقال (فأنكحوه) هكذا بإيثار حدث (الإنكاح) على غيره كـــ(الزواج، المصاهرة ،...)، والهدْي النبوي عبارة عن أسلوب شرط مكون من (إذا الشرطية + فعل الشرط (جاءكم من ترضون دينه)+ جواب الشرط المقترن بالفاء (فأنكحوه) لما فيها من معنى السببية، أي أن الإنكاح مسبب عن حسن الدين والخلق، وإنما جاء التعبير بـــ (إذا) الشرطية غير الجازمة التي تختص "بالتعليق على الشرط المقطوع بوقوعه حقيقة أو حكمًا وليس الشرط المشكوك في وقوعه"[(٢)]، فجاء التعبير بـــ(إذا) للدلالة على صدق الطلب وتيقنه، إضافة إلى دلالة صيغة الأمر على الإلزام (أنكحوه)، إضافة إلى فعل الشرط (جاءكم) الذي ورد في كلٍّ من النص القرآني والهدْي النبوي متعديًا إلى معموله بنفسه، ففي الأول (جاءكم) وفي الثاني (جاءه) هكذا بتسليط العامل على معموله مباشرة دون واسطة، فلم يقل (جاء إليكم) ولا (جاء إليه) بل حُذِف الواسطة وتعدى الفعل لمفعوله مباشرة دون واسطة، وكأن في هذا إشارة إلى تحقق الطلب فعليا، دون أن يكون مجرد فكرة أو مقدمة وإنما ممارسة فعلية، فإذا

(١) سنن الترمذي (٢/ ٣٨١).

(٢) شرح التسهيل لابن مالك (٤/ ٨١)، وينظر / تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد صـــ٩٣.

تحقق هذا المجيء كان لزامًا على ولي الأمر الذي تحقق له وتيقن لديه حسن الخلق والدين أن يسارع باغتنام هذه الفرصة، وإتمام هذا الإنكاح دون تمهُّل كما فعل سيدنا شعيب – عليه السلام – بعد أن جاءه موسى – عليه السلام –؛ حيث إنه لم يفعل شيئًا إلا أن هدَّأ من روعه، ثم عرض عليه تزويجه إحدى ابنتيه، وإنما ورد النص القرآني والهدْي النبوي كلاهما بالفعل(جاء)؛ لما فيه من معنى (الحصول) أي أن المجيء قد حصل بالفعل، سواء قصد الجائي شيئًا بعينه أم لا، أما الإتيان فيقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يقال اعتبارا بالحصول أي أن المجيء أعم[١]، إضافة إلى أن قولك جاء فلان " كلام تام لا يحتاج إلى صلة" [٢] وهذا يَزيد الجائي ثقة بنفسه ومكانته، يكفي أن يجيء نفسُه (بدينه وخُلُقه) دون أية دعائم أخرى يستند عليها، فهو يستند إلى أهم دعامتين (الدين والخُلُق) وكفى بهما، وكأن إيثار التعبير بالفعل (جاء) – أضفى على المعنى ملمح الكفاءة والأهلية، يكفي مجيؤه، فإذا جاء فهو أهل للإنكاح، دون النظر إلى اعتبارات أخرى، وهذا ما عبر عنه الهدْي النبوي بتكرار هذا الأسلوب ثلاثًا بعد استفهام الصحابة بقولهم «يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ؟ قَالَ: إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ – ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»، ويُلاحظ في جملة فعل الشرط التعبير بالموصول الاسمي المشترك (مَن) في قوله ﷺ (إذا جاءكم مَن ترضون) دون الموصول الاسمي الخاص (الذي)، وإنما جاء التعبير (بمَن) دون (الذي) لأن (مَنْ) "تحتمل أكثر مِنْ معني فقد تحتمل الشرط، والموصولية، والاستفهام بخلاف(الذي) التي هي نص في الموصولية، وعليه فإن التعبير بـــ(مَنْ) قد يكون محتملا عدة معان في آن واحدٍ بخلاف (الذي)"[٣]، أي أن (الذي) أكثر تحديدًا من (مَن) فكأن التعبير بـــالموصول الاسمي العام (مَن)

(١) ينظر / المفردات في غريب القرآن صـــ٢١٢.

(٢) معجم الفروق اللغوية صـــ١٥٢ الفرق بين المجيء والإتيان.

(٣) معاني النحو (١/ ١٣٨).

إشارةٌ إلى أن حسن الدين والخلق جِماعُ كلِّ خير، يضاف إلى ذلك أن التعبير بالموصول الاسمي المشترك يفيد عدم معرفة الموصوف وعدم وضوحه؛ لأن (مَنْ) "تُفارِق (الذي) في أنها لا توصف كما توصف (الذي)، ولا يوصَف بها كما يوصف بـــ (الذي)؛ لخروجها عن شَبَهِ الأسماء المتمكِّنة، وشَبَهِها بالمضمرات بنَقْصِ لفظها...."[١]، أي أن (مَن) لا تقع صفة ولا توصف لأن المراد بها الذات، أي الذات التي ترضون دينها وخلقها وإن لم تكونوا على معرفة بها، وعليه فالمعنى: إذا جاءكم من لا تعرفون منه إلا حسن الدين والخلق فأنكحوه، حتى وإن لم يكن لكم به سابقُ علم أو معرفة، يكفي حسنُ دينه وخلقه، وإن لم تعرفوا حسبه ونسبه وهذا المعنى مفاد من الموصول الاسمي المشترك دون الموصول الاسمي الخاص؛ لأن الخاص أكثر تحديدًا ووضوحًا من المشترك وأعرف منه؛ لوضوح معناه وتحديده بخلاف المشترك؛ لذا قيل في الموصول "أعرفه ما كان مختصًّا ثم ما كان مشتركًا..." [٢] ومن بديع ما أضفاه التعبير بالموصول الاسمي المشترك على معنى الهدْي النبوي أن هذا الموصول المشترك (مَن) وإن لم يكن مُعَرَّفًا (بأل) مثل الموصول الخاص (الذي) إلا أنه اكتسب تعريفه بما بعده من صلة[٣]، أي أن هذا الجائي وإن كان منَكَّرًا غيرَ معروف إلا أن حسن دينه وخُلُقه تكفَّلا تعريفه للناس، كحال سيدنا موسى – عليه السلام – الذي خرج من بلدته فارًّا هاربًا إلى مدين لا يملك إلا حسن ظنه بربه وتوكله عليه، مع حسن دينه وخُلُقه، وفي هذا الحسب والنسب ما يُغني عما سواه، وما يكفي عن غيره، وهذا ما جعل شعيبًا – عليه السلام – في النص القرآني يبادره بإرادته تزويجه إحدى ابنتيه، وهذه الإرادة جاءت في الهدي النبوي بقوله ﷺ (مَن ترضَون) هكذا بالفعل (رضي) دون غيره فلم يأتِ

(١) شرح المفصل لابن يعيش (٢/ ٣٨٠).
(٢) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك (١/ ١٥٩).
(٣) ينظر / شرح المفصل لابن يعيش (٢/ ٣٧٤).

التعبير(إذا جاءكم من تحبون أو ترغبون في) وإنما جاء التعبير(مَن ترضَون)، وحقيقة الرضا "ابتهاج القلب وسروره ..." [١]، وهو نقيض السَّخَط، وإذا كان السخط لا يكون إلا من الكبير على الصغير [٢] فكذلك نقيضه وهو الرضا لا يكون إلا من الكبير مقامًا أو عُمُرًا وهو الولي، وكأن عُلُوَّ مقامه أو كِبَرَ عمُره كشفا له حقيقةَ معدِن هذا الجائي (الخاطب) فلم ينظر إلى جاه، أو حسب، أو نسب بل رضِي منه حسن الدين والخلق، وكفى بهما، وما حاجة ولي الأمر ذي النظر الثاقب مِن خاطِبٍ أفضل ممن جمع بين حسن الدين والخُلُق لابنته ؟ أما (الدِّين) فهو "الطريقة المخصوصة الثابتة من النبي صلى الله عليه وآله ويسمى من حيث الانقياد له دينا"[٣] أي أن صاحب الدين هذا يدين بالطاعة، والانقياد، والخضوع للشريعة وأحكامها فلا يحيد عنها في جميع أحواله، وأما حسن الخلق فقِوامه "القوى والسجايا المدركة بالبصيرة"[٤]، أي السجايا والطباع التي تكفُل لصاحبها اختيارَ كل محمود وتركَ كل مذموم، فمن اتصف بمثل هذا صدق فيه قول القائل «حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ» [٥]، بل ربما يُعرض عليه الإنكاح، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء، كما آتى موسى – عليه السلام – الذي ارتقى بدينه وخلقه حتى اصطفاه شعيبًا ليزوجه ابنته مقابل خدمته ثماني حجج، ثم اصطفاه الله تعالى بعد ذلك ليكون كليمه ويؤهله لحمل الرسالة السماوية التي تنتظره؛ فمن ذا يدانيه في الفخار.

---

(١) الكليات صـــ٤٧٨.

(٢) معجم الفروق اللغوية صـــ ٣٤، ٣٨٦ بتصرف يسير.

(٣) معجم الفروق اللغوية صـــ ٥١٠.

(٤) المفردات في غريب القرآن صـــ ٢٩٧.

(٥) طرف من حديث ورد في صحيح البخاري (٥/ ١٩٥٧)/ رقم (٤٨٠٣)، «بَاب: الْأَكْفَاءِ فِي الدِّينِ».

الخـــــــاتمـــة

بعد هذه التطوافة الماتعة لدراسة الأساليب التركيبية في سورة (القصص) للآيات محل الدراسة وكذلك دراسة الأساليب التركيبية للأحاديث النبوية محل الدراسة تمخضت هذه الدراسة عن عدة نتائج من أهمها:

ورد في هذه الآيات مجموعة من القيم الأخلاقية التي تعد أساسًا في تكوين شخصية سوية متزنة بعيدة عن الانحراف في السلوك والأخلاق، وبتحليل هذه الآيات القرآنية التي تتضمن بعض القيم الأخلاقية، والأحاديث النبوية التي تتضمن مثل هذه القيم الأخلاقية يتضح تلاقي الأسلوب التركيبي لكلا طرفي المقارنة، ومن ذلك ما يأتي:

١- قيمة (اليقين في التوكل على الله تعالى):

أ- **في النص القرآني:** ورد التعبير بالفعل(عسى)الذي يصرف المستقبل إلى المضي، من باب اليقين بالهداية إلى سواء السبيل، وهذا اليقين يجعل المُحال ممكنًا.

ب- **في الهدْي النبوي:** ورد التعبير بأسلوب الشرط وأداته (لو) التي تفيد امتناع جوابها لامتناع شرطها؛ للدلالة على قلة توكل الإنسان على ربه وكثرَة توكله على الأسباب، أي أن الهدْي النبوي ورد في صورة تمنٍ لوجود هذه القيمة الخلقية التي لو وجدت لأصبح ما لم يحدث واقعا لا محالة.

٢- قيمة (التوسم والتفرس):

أ- **في النص القرآني:** ورد التعبير في صورة سؤال اكتنز في طياته العديد من التساؤلات التي تتطلب جوابًا، وكأن موسى ــ عليه السلام - اختزل كلامه في صورة سؤال واحد اختزِن العديد من الأسئلة التي حدَّثته بها نفسُه وأثارتها حالُ الفتاتين توسمًا منه، وإذا كان الإنسان ينجذب لشبيهه فكذلك حال

الفتاتين توسمتا فيه الخير فطلبتا منه المساعدة – تلويحًا – بقولهما (وأبونا شيخ كبير)، والحال أن كلا الطرفين استعان بقرينة الاختصار كعامل مساعد لإتمام التفرس.

ب- **في الهدْي النبوي:** ورد التعبير بجملة وجيزة مختزنة العديد من المعاني «**إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عِبَادًا يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ**» للدلالة على أن من يعرفون الناس بالتوسم إنما هم عباد الله تعالى، وكأن هذا الخلق ضمان من الله تعالى لمن يتصف به أن يكون من عباد الله تعالى المصطفَين وفي هذا دلالة على علو شأن هذا الخلق الذي يعد رأس مكارم الأخلاق.

٣- قيمة (الحياء):

أ- **في النص القرآني:** ورد التعبير بأسلوب خبري يصف الفتاة حال مشيتها ويحكي قولها، أما وصف مشيتها فعبر عنه بتعدية الفعل تمشي بحرف الاستعلاء (على) إشارة إلى أن الحياء يعمها ويشملها من منبت رأسها إلى أخمَص قدمها، وأما حكاية قولها فيتضح فيه انتقاؤها ألفاظًا ذات أصوات قوية الجرس.

ب- **في الهدْي النبوي:** سواء في حديث إثبات الحياء، أو في حديث نفي الحياء كلاهما استخدم قرينة العموم والإبهام، في الأول للدلالة على ما يعود على صاحب الحياء من خير كثير وافر عميم بما يفيده التوكيد المعنوي حيث حصر عموم الخير على الحياء، وفي الثاني فيتمثل في التعبير بـــ (ما الموصولة) التي تفيد الإبهام للدلالة على أن فاقد الحياء لا يُرجى من ورائه أي نفع أو خير؛ بل تراه يتقلب في الأمور كما يشاء بلا رادع أو وازع.

٤- قيمة (قضاء حوائج العباد):

أ- **في النص القرآني :** ورد التعبير القرآني بحرف العطف (الفاء) للدلالة على التعقيب أي الفورية في قضاء حوائج العباد، وورد بلا مؤكدات في الدلالة

على جزاء قضاء حوائج العباد؛ للدلالة على الجزم والقطع في حسن عاقبة هذا الخلق.

ب- في الهدْي النبوي: ورد الهدْي النبوي بأسلوب خبري مكون من مبتدأ وخبر محقق الوقوع لا يحتاج إلى مؤكدات، وقد ورد على صورة من الوجازة والاختصار ليكون أشبه بقانون أو قاعدة، وهذه يراعى فيها الاختصار والانسجام بين الألفاظ ليسهل حفظها.

٥- قيمة الانسجام والتوافق بين الدين والخلق:

أ- في النص القرآني: ورد التعبير القرآني مُصَدَّرًا بإن التوكيدية المضافة إلى ياء التكلم للتأكيد على أن هذا المطلب رغبة من الشيخ نفسِه؛ حفاظًا على حياء ابنته، وكأنه يقول: إن هذا الطلب نابع من نفسي أنا، وفي هذا لمسة حانية بارعة من هذا الشيخ الكبير على ابنته الذي لم يرَ حرجًا في أن يتخير لابنته الرجل الذي تتمناه زوجًا لها، ويردها حياؤها عن أن تعرض نفسها عليه .

ب- في الهدْي النبوي: جاء التعبير بـــ(إذا) الشرطية غير الجازمة التي تختص "بالتعليق على الشرط المقطوع بوقوعه حقيقة أو حكمًا وليس الشرط المشكوك في وقوعه"؛ للدلالة على الجزم القاطع بوجوب إنكاح صاحب الدين والخلق إذا جاء خاطبًا.

ويلتقي كلا الأسلوبين أي القرآني، والنبوي في إضفاء ملمح الكفاءة والأهلية على صاحب الدين والخلق ويتضح ذلك في إيثار التعبير بالفعل (جاء) في النص القرآني(فلما جاءه وقص عليه القصص) وفي الهدْي النبوي (إذا جاءكم)؛ لما فيه من معنى (الحصول) أي أن المجيء قد حصل بالفعل، سواء قصد الجائي شيئًا بعينه أم لا، يكفي مجيؤه، فإذا جاء فهو أهل للإنكاح، دون النظر إلى اعتبارات أخرى.

القيم الأخلاقية إنما هي منظومة متكاملة من القواعد التي تضرب بجذورها في أعماق النفس البشرية من لدن آدم ـــ عليه السلام ـــ إلى يومنا هذا، وإلى قيام الساعة، فلا خلاف بين الشرائع السماوية بأن الصدق، والأمانة، والعدل، والإحسان إلى الوالدين، والحياء، وإعانة الآخرين، وغيرها من القيم الأخلاقية التي ينبغي على الإنسان أن يلتزم بها، وأن ما يقابلها من الكذب، والخيانة، والظلم، وعقوق الوالدين من الرذائل التي ينبغي على الإنسان أن ينأى بنفسه عنها، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ثبات هذه القيم مع اختلاف تصورات الأجيال في النظر إليها.

هذا، وإتمامًا للفائدة فمن توصيات هذا البحث:

- ضرورة التوعية بكل الوسائل لتطبيق الأخلاق والقيم الإسلامية.
- الحرص على مدارسة سير الصالحين وتدريسها للنشء في صورة مواد دراسية إلزامية وتخصيص وقت في الجدول الصفيِّ، وربط القيم الأخلاقية بالمعاملات؛ فالدين المعاملة.
- ضرورة إعادة دور القدوة (كالأسرة، والمعلم) في تنمية الوعي بالقيم الأخلاقية؛ وذلك باتباع أساليب غير تقليدية موافقة لطبيعة عصر التكنولوجيا كإنشاء الأب أو الأم قناة على اليوتيوب وبث محتوى أخلاقي يجسده جميع أفراد الأسرة بما فيهم الأطفال، فينشأ ناشئ الفتيان فينا على ما كان عوَّده أبوه.

وختامًا، أحمد الله تعالى حمدًا طيبًا مباركًا، على عونه، ومدده، وتوفيقه في إتمام هذا العمل، والله أسأل الإخلاص والقبول.

فهرس المصادر والمراجع

١- أبنية الأسماء والأفعال والمصادر/ ابن القَطَّاع الصقلي، تح . أ. د. أحمد محمد عبد الدايم/ دار الكتب والوثائق القومية – القاهرة/ ١٩٩٩ م.

٢- الأدب المفرد / البخاري / تح. سمير بن أمين الزهيري/ مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض/ ط١، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م.

٣- أساس البلاغة/ الزمخشري/ تح. محمد باسل عيون السود/ دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان/ ط١، ١٤١٩ هـ .

٤- أسس علم اللغة / ماريو باي / ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر/ عالم الكتب ط٨/ ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

٥- الأصول في النحو/ابن السراج /تح. عبد الحسين الفتلي/ مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت.

٦- الأضداد لابن الأنباري/ تح: محمد أبو الفضل إبراهيم/ المكتبة العصرية، بيروت – لبنان/ ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٧- اعتلال القلوب/ الخرائطي السامري تح. حمدي الدمرداش/ مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة/ ط٢، ١٤٢١ هـ.

٨- إعراب القرآن وبيانه/ محيي الدين درويش /دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، (دار اليمامة – دمشق – بيروت)، (دار ابن كثير – دمشق – بيروت)/ ط٤، ١٤١٥ هـ.

٩- إيجاز البيان عن معاني القرآن/ أبو القاسم، نجم الدين النيسابوري تح. د. حنيف بن حسن القاسمي/ دار الغرب الإسلامي – بيروت الطبعة: ط١/ أولى – ١٤١٥ هـ.

١٠- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد/ ابن عجيبة الحسني/ تح. أحمد عبد الله القرشي رسلان/الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة/ ١٤١٩هـ.

١١- تاج العروس من جواهر القاموس/ الزَّبيدي/ من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت -المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت.

١٢- تاج اللغة وصحاح العربية/ الجوهري تح. أحمد عبد الغفور عطار/ دار العلم للملايين – بيروت / ط٤/ ١٩٨٧ م.

١٣- التحرير والتنوير/ ابن عاشور التونسي/ الدار التونسية للنشر – تونس/ ١٩٨٤ هـ.

١٤- التخمير شرح المفصل في صنعة الإعراب/ الخوارزمي/ تح. د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين/ دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان/ ط١، ١٩٩٠ م.

١٥- الترغيب والترهيب -تح. إسماعيل الأصبهاني أيمن بن صالح بن شعبان/ دار الحديث – القاهرة ط١/ ١٩٩٣.

١٦- تعليق الفرائد على تسهيل الفوائد/ الدماميني/ تح. الدكتور محمد بن عبد الرحمن بن محمد المفدى/ ط١، ابتداء من عام ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م.

١٧- تفسير الإمام الشافعي/ تح. د. أحمد بن مصطفى الفرَّان (رسالة دكتوراه)/ دار التدمرية – المملكة العربية السعودية/ ط١: ١٤٢٧ – ٢٠٠٦ م.

١٨- تفسير الشعراوي – الخواطر/ محمد متولي الشعراوي / مطابع أخبار اليوم/ عام ١٩٩٧ م.

١٩- التفسير القرآني للقرآن/ عبد الكريم يونس الخطيب / الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

٢٠- تفسير مقاتل بن سليمان/ تح. عبد الله محمود شحاته/ دار إحياء التراث – بيروت/ ط١ – ١٤٢٣ هـ.

٢١- تهذيب اللغة/ الأزهري /تح. محمد عوض مرعب/ دار إحياء التراث العربي – بيروت/ ط١، ٢٠٠١م

٢٢- ثواب قضاء حوائج الإخوان وما جاء في إغاثة اللهفان/ محمد بن علي الكوفي / تح. د عامر حسن صبري/ دار البشائر الإسلامية – بيروت – لبنان/ ط١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٢٣- جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ ابن جرير الطبري /دار التربية والتراث – مكة المكرمة .

٢٤- الجامع الصحيح /الإمام مسلم / دار الطباعة العامرة – تركيا/ عام النشر: ١٣٣٤ هـ.

٢٥- جمهرة اللغة/ ابن دريد الأزدي /تح. رمزي منير بعلبكي/ دار العلم للملايين – بيروت/ ط١، ١٩٨٧م.

٢٦- حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك/الصبان الشافعي / دار الكتب العلمية بيروت–لبنان/ ط١/ ١٤١٧ هـ –١٩٩٧م، الخصائص / ابن جني /الهيئة المصرية العامة للكتاب/ الطبعة: الرابعة.

٢٧- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون/ السمين الحلبي / تح: الدكتور أحمد محمد الخراط/ دار القلم، دمشق.

٢٨- رسالة المباحث المرضية / ابن هشام تح .د. مازن المبارك: دار ابن كثير – دمشق / بيروت/ ط١/ ١٩٨٧م.

٢٩- رياض الصالحين/ النووي/ دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – بيروت/ط١، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م

٣٠- سنن أبي داود/ تح. شعيب الأرنؤوط – محمد كامل قره بللي/ دار الرسالة العالمية/ ط١، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م.

٣١- سنن الترمذي/ مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر/ ط٢، ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

٣٢- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو/ خالد بن عبد الله الأزهري، دار الكتب العلمية –بيروت–لبنان/ط١/ ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م.

٣٣- شرح شافية ابن الحاجب/ الرضي الإستراباذي/ دار الكتب العلمية بيروت – لبنان/ ١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م.

٣٤- شرح الفصيح لابن هشام اللخمي / تح: د. مهدي عبيد جاسم/ ط١، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨ م

٣٥- شرح المفصل للزمخشري/ ابن يعيش / دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان/ ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

٣٦- شرح المقدمة المحسبة/ طاهر بن أحمد بن بابشاذ /تح. خالد عبد الكريم/ المطبعة العصرية الكويت/ ط١، ١٩٧٧ م

٣٧- صحيح البخاري/ تح: د. مصطفى ديب البغا/ (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق/ ط٥، ١٤١٤ هـ .

٣٨- صحيح الجامع الصغير وزياداته/ الشيخ الألباني / المكتب الإسلامي.

٣٩- العُدّة في إعراب العُمدَة/ المؤلف: بدر الدين ابن فرحون /تح: مكتب الهدي لتحقيق التراث / دار الإمام البخاري – الدوحة/ ط١، (د. ت).

٤٠- العرش وما رُوِي فيه/ أبو جعفر محمد بن عثمان /تح. محمد بن خليفة بن علي التميمي/ مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية/ ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

٤١- علم اللغة العربية / د. محمود فهمى حجازي/ دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

٤٢- فتح القريب المجيب على الترغيب والترهيب للإمام المنذري / نشر وتحقيق. أ.د.محمد إسحاق محمد آل إبراهيم/ ط١، ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.

٤٣- كتاب الأفعال لابن القوطية/ابن القوطية /تح. علي فوده، العضو الفني للثقافة بوزارة المعارف/ مكتبة الخانجي بالقاهرة/ ط٢، ١٩٩٣ م.

٤٤- كتاب التعريفات/ الجرجاني/ / دار الكتب العلمية بيروت -لبنان/ ط١/ ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

٤٥- الكتاب/ سيبويه / تح. عبد السلام محمد هارون/ مكتبة الخانجي، القاهرة/ ط٣، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

٤٦- كتاب العين/ الخليل بن أحمد /تح. د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي/ دار ومكتبة الهلال.

٤٧- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل/ الزمخشري / دار الكتاب العربي - بيروت/ ط٣ - ١٤٠٧ هـ.

٤٨- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية/ أبو البقاء الكفوي، تح: عدنان درويش - محمد المصري/ مؤسسة الرسالة - بيروت.

٤٩- لسان العرب / ابن منظور / دار صادر - بيروت/ ط٣ - ١٤١٤ هـ .

٥٠- لطائف الإشارات / القشيري/ تح. إبراهيم البسيوني/ الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر/ ط٣.

٥١- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ أبو بكر الهيثمي /تح / حسام الدين القدسي/ مكتبة القدسي، القاهرة/ ١٤١٤ هـ م.

٥٢- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ابن عطية / تح. عبد السلام عبد الشافي محمد/ دار الكتب العلمية - بيروت/ ط١ - ١٤٢٢ هـ.

٥٣- المحكم والمحيط الأعظم/ابن سيده / تح. عبد الحميد هنداوي/ دار الكتب العلمية - بيروت/ ط١، ١٤٢١ هـ

٥٤- مختصر زوائد مسند البزار على الكتب الستة ومسند أحمد/ ابن حجر العسقلاني /تح. صبري بن عبد الخالق أبو ذر/ مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان/ ط١، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.

٥٥- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي/ د. رمضان عبد التواب / مكتبة الخانجي بالقاهرة / ط ٣/ ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٥٦- المرتجل (في شرح الجمل)/ ابن الخشاب/تح. علي حيدر/١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م.

٥٧- المستدرك على الصحيحين/ النيسابوري/ تح. مصطفى عبد القادر عطا/ دار الكتب العلمية – بيروت/ ط١، ١٤١١.

٥٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل/تح: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون/ مؤسسة الرسالة.

٥٩- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار/ مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة/ ط١، (بدأت ١٩٨٨ م، وانتهت ٢٠٠٩م

٦٠- معاني النحو/ د. فاضل صالح السامرائي/ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – الأردن/ ط١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠م.

٦١- معجم الفروق اللغوية / العسكري تح. الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي/ط١، ١٤١٢هـ .

٦٢- المعجم المفصل في شواهد العربية / د. إميل بديع يعقوب/ دار الكتب العلمية/ ط١، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.

٦٣- المفتاح في الصرف/ الجرجاني /مؤسسة الرسالة – بيروت/ ط١/ (١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧م).

٦٤- المفردات في غريب القرآن/ الراغب الأصفهانى / تح: صفوان عدنان الداودي/ دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت/ ط١ – ١٤١٢ هـ.

٦٥- المفصل في صنعة الإعراب / الزمخشري تح. د. علي بو ملحم/ مكتبة الهلال – بيروت/ ط١، ١٩٩٣.

٦٦- المقاصد الشافية في شرح الخلاصة الكافية (شرح ألفية ابن مالك)/ للشاطبي / معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى – مكة المكرمة/ ط١، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م.

٦٧- المقتضب/المبرد /تح. محمد عبد الخالق عظيمة./ عالم الكتب. – بيروت.

٦٨- مقاييس اللغة /ابن فارس /تح. عبد السلام محمد هارون/ دار الفكر/ ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٦٩- منار الهدى في بيان الوقف والابتدا/ أحمد بن عبد الكريم الأشموني المصري تح..عبد الرحيم الطرهوني/ دار الحديث – القاهرة، مصر/ ٢٠٠٨.

٧٠- نتائج الفكر في النَّحو للسُّهَيلي / دار الكتب العلمية – بيروت/ ط١/ ١٤١٢ – ١٩٩٢ م.

٧١- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ البقاعي / دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

٧٢- النهاية في غريب الحديث والأثر / ابن الأثير / المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٧٣- نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ / الترمذي تح: عبد الرحمن عميرة/ دار الجيل – بيروت.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع
١	ملخص البحث
٢	المقدمة
٣	التمهيد: تحرير مصطلحات عنوان البحث (القيم الأخلاقية – النص القرآني – الهدْي النبوي)
٤	المبحث الأول: قيمة اليقين في التوكل على الله بين النص القرآني والهدي النبوي
٥	المبحث الثاني: قيمة التوسم والتفرس بين النص القرآني والهدي النبوي
٦	المبحث الثالث: قيمة الحياء بين النص القرآني والهدي النبوي
٧	المبحث الرابع: قيمة قضاء حوائج العباد بين النص القرآني والهدي النبوي
٨	المبحث الخامس: قيمة الانسجام بين الدين والخلق بين النص القرآني والهدي النبوي
٩	الخاتمة
١٠	فهرس المصادر والمراجع
١١	فهرس الموضوعات